المعهد العالمي للفكر الإسلامي



سلسلة المفاهيم والمصطلحات (٥)

الجامع والجامعة والجماعة

دراسة في المكونات المفاهيمية والتكامل المعرفي

زكي الميلاد



زكي عبد الله أحمد الميلاد

* مواليد سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م.
مدينة القطيف شرق المملكة العربية السعودية .

* باحث فى شؤون الفكر الإسلامى.

* رئيس تحرير مجلة الكلمة ، فكرية فصلية تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث.

* **من مؤلفاته المنشورة :**

(١) الحركة الإسلامية ومعالم المنهج الحضارى - بيروت.

(٢) تحولات الفكر والثقافة فى الحركة الإسلامية - بيروت .

(٣) مالك بن نبى ومشكلات الحضارة .

(٤) الحركة الإسلامية وآفاق العمل الفكرى - بيروت .

(٥) الوحدة والتعددية والحوار فى الخطاب الإسلامى المعاصر - بيروت .

(٦) الفكر الإسلامى بين التأصيل والتجديد - بيروت .

(٧) خطاب الوحدة الإسلامية .

(٨) الإسلام والغرب بالاشتراك - صدر فى بيروت سنة ١٩٩٨ .

إلى جانب العديد من كتاباته المنشورة فى مجلات ودوريات فكرية وثقافية عربية وبعض الكتابات فى دوريات إنجليزية .

الجامع والجامعة والجماعة

دراسة في المكونات المفاهيمية
والتكامل المعرفي

الطبعة الأولى
(١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م)

الجامع والجامعة والجماعة

دراسة في المكونات المفاهيمية والتكامل المعرفي

زكي الميلاد

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
١٤١٨هـ / ١٩٩٨م

(سلسلة المفاهيم والمصطلحات ؛ ٥)

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
٢٦ ب – ش الجزيرة الوسطى – الزمالك – القاهرة – ج.م.ع.

بيانات الفهرسة أثناء النشر – مكتبة المعهد بالقاهرة .

الميلاد ، زكي
الجامع والجامعة والجماعة : دراسة في المكونات
المفاهيمية والتكامل المعرفي / زكي الميلاد . –
ط١ . – القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٨ .
ص ؛ سم.– (سلسلة المفاهيم والمصطلحات ؛ ٥)
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية .
تدمك : ٢– ٩٤– ٥٢٢٤– ٩٧٧

١– المساجد ٢– الجامعات والكليات

٣– الجماعات أ– العنوان

ب– (السلسلة)

رقم التصنيف : ٢١٥
رقم الإيداع : ٩٨/٢٥/٩

محتويات الدراسة

••★••

مدخل البحث

إن دراسة المفاهيم وتحليلها، قضية معرفية أساسية، يتوقف عليها بناء أي نسق معرفي، على مستوى العلوم والثقافات والمجتمعات. لأن لكل علم نسقاً معرفياً خاصاً به، يضبط حركة هذا العلم، ويوجهه نحو مساراته المنهجية بما يحقق له مكتسباته ومنجزاته، وهكذا بالنسبة لكل ثقافة، ولكل مجتمع، وإذا كانت هناك فروقات فهي لاختلاف في الخصوصيات والشروط، فالعلم له خصوصياته التي تتصف بالحياد والصرامة والاطراد والقانون، حسب الفهم الذي يربط العلم بالقانون في إطار العلوم الطبيعية.

والثقافة – أية ثقافة – لها خصوصياتها التي تتفرع من بنيتها الفلسفية في رؤيتها للانسان والحياة والكون، ومهما اختلفت هذه الثقافات أو تعددت، فانها تحفظ لنفسها جانباً من المرونة والتطور والانفتاح والتفاعل والاكتساب. وهذه الخصوصيات تتفاوت قوة وضعفاً في حجمها وحركتها، من ثقافة إلى أخرى، ضمن معايير التخلف والتقدم، وما بينهما من نسب بين هبوط وارتفاع.

والمجتمع بغض النظر عن مستوياته في التحضر أو التخلف، بدائيا كان، أم ناميا، ام متحضرا، هو الاخر له نسقه المعرفي الذي يتقوّم عليه العيش المشترك للناس، ومعاشهم، وحفظ النظام العام. والفروقات هنا من ناحية الثقافة والمجتمع، فإن النسق المعرفي لكل واحد منهما، يختلف كماً وكيفاً وعمقاً، باختلاف المستويات الحضارية..

فالمجتمعات وإن كانت بدائية، إلا أن لها نسقا معرفيا يتناسب معها، يوفر لها انتظام حياة مشتركة، ونظاماً للتواصل والتفاهم بالإشارات، أو بالرسوم، أو عن طريق اللغة.

والنسق المعرفي نقصد به، تلك البنية الأساسية من المفاهيم التي تضبط البناء المنهجي، إن كان علما، أو فكرا، أو ثقافة، وحتى لو كان مجتمعا..

وكلما استفادت المفاهيم من اللغة والأدب والمنطق والفلسفة، كلما أضافت للنسق المعرفي الذي يبتني عليها، مزيداً من التماسك والخصوبة والإثراء والجمالية والعمق..

من هنا تأتي أهمية صيانة المفاهيم من التحريف، والإختراق، والإختلال، الذي ينعكس على النسق المعرفي، وبالتالي على نظم التفكير، وطرائق السلوك العامة للمجتمع، والذي يؤثر بدوره على كل مجالات العطاء والإنتاج والتطور العام .

وهذا ما يمكن أن يكتشفه أي مجتمع في أطواره المختلفة من النمو والتطور، فرؤيته للمفاهيم وتأثيرها عليه تتأثر باختلاف أطواره في النمو والتطور.. كرؤيتنا للعلم وتأثيره علينا، فعندما قرر ملك بريطانيا «جورج الرابع» إنشاء جامعة لندن خلال العقد الثالث من القرن التاسع عشر الميلادي، نصح بعدم فعل ذلك، ومن بين أبرز تلك النصائح رسالة لامبراطور النمسا حملها سفيره في لندن إلى الملك البريطاني، تقول بالحرف الواحد: ثمة مسألة واحدة أرجو أن تثيرها لدى اهتمام الملك قبل أن ترحل، وهي تتعلق بأمر تأسيس جامعة لندن، فلديك سلطتي أيها السفير كي تخبر جلالته باعتقادي المطلق بأن متابعة تأسيس هذه الجامعة ستجلب الخراب لبريطانيا(١).

ففي طور من النمو يأتي هذا الموقف، وفي طور آخر يأتي الموقف الذي يناقضه تماما حينما تحولت الجامعات في اوروبا كأهم شيء تعتز به الدولة هناك، وتعتمد عليها في كل خطط التطوير والإنماء الشامل.

ونحن في العالم الإسلامي، يفترض فينا، أن ندرك ما أصابنا من اختلال شديد في رؤيتنا للمفاهيم التي تشكل لنا النسق المعرفي، بعد أن إنتقلنا من طور التقدم الحضاري، إلى طور التخلف الحضاري، وها نحن في طور بدأنا نستعيد فيه بعض الشيء من يقظتنا الحضارية، والتي كشفت وستكشف لنا خطورة التخلف على كل مرافق حياتنا، وبصور أشد في رؤيتنا للعلم، إن أول آية نزلت على رسول الإسلام كانت ﴿ اقرأ ﴾ فكيف نفسر ما وصلنا إليه من الأمية التي ترتفع معدلاتها في المجتمعات الإسلامية بشكل كبير، وضعف التعليم والبحث العلمي، وكل ما له علاقة بالعلم..

وهذا العمل الذي ندرسه يدخل في نسق دراسة المفاهيم، وهو محاولة لاستجلاء ملامح من التكامل المعرفي بين ثلاثة من المفاهيم الهامة وهي «الجامع» و«الجامعة» و«الجماعة»، وما تختزله من مكونات مفاهيمية.

فرضية هذا البحث تشكّلت من حصيلة تأملات ذهنية، في فترات متعاقبة، حول دلالات هذه الألفاظ، لغوياً ومفاهيمياً، وعما يمكن أن يجمع بينها من حيث التكامل المعرفي، وهل إن كل لفظ يأخذ من الآخر اخذا معنويا ومفهوميا، بحيث من الممكن أن نقول أن لفظ «الجامع» يأخذ من لفظ «الجامعة» و«الجماعة»، وأن لفظ «الجامعة» يأخذ من لفظ «الجامع» و«الجماعة» وهكذا الحال بالنسبة «للجماعة».

الفرض الذي يترتب عليه أن تكون «الجامعة» و«الجماعة» من مكونات مفهوم «الجامع»، وأن «الجامع» و«الجماعة» من مكونات مفهوم «الجامعة». وأن الجامع والجامعة من مكونات مفهوم الجماعة.

هذا ما نتركه للبحث أن يكشفه لنا، وعن الحقائق التي يوصلنا إليها.

وقبل ذلك، هل هناك مصداقية لهذا البحث تُكسبه الوحدة الموضوعية! التي تجعل من الممكن دراسة التكامل المعرفي بين هذه المفاهيم!

وإن كان هناك من مصداقية فإنما تتأسس أولا على قاعدة لغوية وألسنية، فيما إذا كان هناك جامع مشترك بين هذه الألفاظ ، ومع وجود هذا الجامع يكتسب البحث واقعيته العلمية، وإلا فلا.

وهذا لا يتطلب منا جهداً عسيراً، بل يكفي أن نأخذ من اللغة، أن هذه الألفاظ ترجع إلى مصدر واحد، هو مصدر «جمع» وقد بُحثت هذه الألفاظ تحت هذا المصدر في معاجم اللغة القديمة منها والحديثة.

ومع هذا الجامع من اللغة يكتسب هذا العمل مدخلاً موضوعياً في دراسة الدلالات المفاهيمية والتكامل المعرفي بين هذه الألفاظ..

ونحتاج هنا إلى وقفة مع هذا المصدر «جمع» لنتأمل فيه وما يحمله من معان، باعتبار أن هذه المعاني مشتركات تلك الألفاظ وعلى علاقة بها، لا أقل من هذه الناحية اللغوية.

جاء في «معجم مقاييس اللغة» لـ«أحمد بن فارس بن زكريا» (ت- ٣٩٥هـ): «إن الجيم والميم والعين أصل واحد، وهو يدل على تضام الشيء، يقال جمعت الشيء جمعاً»[٢] ، وفي «لسان العرب» لـ«ابن منظور» (٦٣٠- ٧١١هـ/١٢٠٩- ١٢٩٠م) «جمع الشيء عن تفرقه، يَجْمَعه وجَمَّعه وأجْمَعَه فاجتمع، والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا وإن لم يجعل كالشيء الواحد، واستجمع السيل: إجتمع من كل موضع. وجمعت الشيء إذا جئت به من ههنا وههنا»[٣]. وفي «المعجم الوسيط»: «جمع المتفرق جمعاً: ضم بعضه إلى بعض، وفي المثل [تجمعين خلابة وصدوداً] يضرب لمن يجمع بين خصلتي شر»[٤]، وفي «المنجد»: «جمع - جمعاً المتفرق: ضمّه وألّفه»[٥]، وفي «معجم ألفاظ القرآن»: «جمع المتفرق يجمعه جمعاً: لمّ الأشياء المتفرقة وضمها بعضها إلى بعض ومثله أجمع. مع ملاحظة أن أكثر ما يستعمل [جمع] في الأعيان، وأكثر ما يستعل [أجمع] في الآراء»[٦].

فهذه المعاجم تتفق على أن هذا المصدر يدل على جمع الشيء وضم بعضه إلى بعض، وهذا ما ينطبق على تلك الألفاظ، الذي يحتوي كل واحد منها على ضم وجمع

من نوع خاص بها. كما أن هذا المصدر يشترك بدلالته اللغوية مع تلك الألفاظ، إما من زاوية الدلالة المفهومية، واما من زاوية الدلالة الوظيفية، أو بهما معاً، كما سوف يتضح..

ومن علم المنطق سوف نأخذ قاعدة التحليل والتركيب في دراسة هذه الألفاظ. بتحليلها متجزئة أولا، وتبيان دلائل ومقاصد كل لفظ مستقلا عن الآخر، وكل ما يحتمله من معاني واستعمالات معنوية أو عينية. ثم تركيبها مترابطة ثانيا، وما يكشفه هذا الترابط من دلائل ومقاصد، وما نستخلصه عندئذ من فكرة أو نظرية هي محصلة هذا البحث.. وإذا كان فيه من صعوبة أو نواقص فلأنه ذو طابع تأسيسي نوعاً ما..

أسأل الله التوفيق والسداد والعلم النافع.

القسم الأول

تحليل المفاهيم

أولاً: الجـامـع.

ثانياً: الجامعة.

ثالثاً: الجماعة.



أولاً: الجامع

من وجوه معاني هذا اللفظ أنه إسم من أسماء الله الحسنى، لأنه هو الذي يجمع الخلائق يوم الحساب، ويؤلف بين المتضادات والمتماثلات في الوجود[٧].

وقد حاول الشيخ «أبو حامد الغزالي» (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ/١٠٥٨ – ١١١١م) أن يقدم تعريفاً جامعاً يصدق عليه إسم الجامع لله سبحانه وتعالى فهو عنده المؤلف بين المتماثلات والمتباينات، والمتضادات، أما جمع الله تعالى بين المتماثلات، فمثل جمعه الخلق الكثير من الإنس على ظهر الأرض، وحشره إياهم في صعيد القيامة، وأما المتباينات فمثل جمعه بين السماوات والكواكب ، والهواء والأرض والبحار، والحيوانات والنبات والمعادن المختلفة، وكذلك متباين الأشكال والألوان والطعوم والأوصاف، وقد جمعها فى الأرض، وجمع بين الكل فى العالم، وكذلك جمعه بين العظم والعصب والعرق والمخ والبشرة والدم، وسائر الأخلاط في بدن الحيوان.

وأما المتضادات فمثل جمعه بين الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، في أمزجة الحيوانات، وهي متنافرات متعاديات.

وتفصيل جمعه لا يعرفه إلا من يعرف تفصيل مجموعاته في الدنيا والآخرة[٨].

وفي القرآن الكريم جاء هذا اللفظ صفة لله تعالي جل شأنه كما في قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** ۝٩ ﴾[٩] وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا** ۝١٤٠ ﴾[١٠].

تتفق الآيتان على أن مفهوم الجامع هو بمعنى يرتبط بعالم الآخرة، وهو اليوم الذي يجمع فيه الله سبحانه وتعالى البشر للحساب والجزاء، والذي من أسمائه يوم الجمع.

فالقرآن الكريم إستخدم كلمة الجامع في هاتين الآيتين فقط وبهذا المعنى المذكور.. والجامع في عالم الإنسان هو من يجمع بين الآداب الظاهرة فى الجوارح ، وبين الحقائق الباطنة فى القلوب ، فمتى كملت معرفته وحسنت سيرته فهو الجامع، أي من يجمع بين البصر والبصيرة[١١].

وفي مجال اللغة يقال أمر جامع، وكلام جامع . والأول يرتبط بالشأن العينى، والثاني يرتبط بالشأن اللغوي. والشأن العيني في هذا المعنى هو ما يتجاوز نطاق الفرد وشأنه الخاص ، إلى نطاق المجتمع وشأنه العام، فالأمر الجامع هو ما له علاقة بالمجتمع أو الأمة فى أمورهما العامة، وما له من أهمية وضرورة على حياتهم ، في حاضرهم أو مستقبلهم، وفي أي مجال من مجالات الحياة العامة، سواء تعلق الأمر

الجامع بمجال الثقافة، أو الإجتماع، أو الإقتصاد، أو القانون، أو السياسة، أو الأمن، أو التربية، أو أي مجال يدخل في الشأن العام للأمة، بحيث يستوجب منهم الإتفاق على هذا الأمر ويكون جامعاً لهم ، لأنه من الأمور التي يتوقف عليها انتظام حياة الأمة، وحفظ نظامها العام. من قبيل الإتفاق على دستور ينظم شؤون الأمة قانونياً، فيكون الدستور حينئذٍ من نوع الأمر الجامع.

وفي معاجم اللغة إن الأمر الجامع كما في «لسان العرب»، هو ما يجمع الناس. وفي «المعجم الوسيط» أمر جامع: له خطر يجتمع لأجله الناس. وفي «معجم ألفاظ القرآن الكريم» الأمر الجامع هو الذي يقتضي أن يجتمع الناس له ويتعاونوا عليه.

والأمر الجامع كما يصدق علي ما هو طارئ ومتغير، يصدق - أيضا - على ما هو أصيل وثابت، على الحالة الأولى ما أشارت إليه معاجم اللغة بالأمر الذي يداهم الناس ويشكّل خطراً أو ضرراً، أوضرورة على حياتهم العامة فيقتضي منهم الإجتماع بمعنى الإلتقاء المكاني والزماني، والإتفاق على ما يستوجبه هذا الأمر، كما في حالات الحروب، أو الكوارث، أو إنتشار الأوبئة. هذا في حالة كان الأمر خطراً وضرراً، وأما ضرورة كما في حالة أن يجتمع أمر الناس على مكافحة الأمية مثلاً.

وعلى الحالة الثانية فإن الأمر الجامع يصدق على كل ما من شأنه أن يجمع أمر الناس في إنتظام حياتهم وحفظ نظامهم العام بشكل مستمر، كوجود الدستور والقانون والسلطة وما شابه، فإن هذه الأمور من الأمر الجامع للناس.

وعن الأمر الجامع جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢)** ﴾(١٢).

وفي تفسيره «على أمر جامع» يقول صاحب «مجمع البيان في تفسير القرآن» الشيخ «الفضل بن الحسن الطبرسي» (٤٥٨ - ٥٤٨هـ/١٠٣٧- ١١٢٧م): «هو الذي يقتضي الإجماع عليه والتعاون فيه من حضور حرب، أو مشورة في أمر، أو صلاة جمعة ، أو ما أشبه ذلك»(١٣).

وفي تفسير الميزان للسيد «محمد حسين الطباطبائي» (١٣٢٤ - ١٤٠٢ هـ/١٩٠٣ - ١٩٨١م) الأمر الجامع: «هو الذي يجمع الناس للتدبر في أطرافه، والتشاور والعزم عليه كالحرب ونحوها»(١٤).

ويستفاد من هذه الآية أن الأمر الجامع يفيد العموم، أي كل ما يقتضي من الناس الإجتماع له والتشاور عليه، والإتفاق حوله، سواء أكان هذا الأمر، من أمور السلم، أو من أمور الحرب، وسواء أكان من الشؤون الداخلية أو الخارجية، أو من أمور عبادية كصلاة الجمعة، أو من أمور غير عبادية كالتصويت على دستور للبلاد، وفي أي مكان أو زمان، وفي أي مجال كان هذا الأمر، سياسياً أم ثقافياً، أم اقتصادياً، أو إجتماعياً، أو تربوياً، أو صحياً، أو دفاعياً.. أو ما شابه ذلك.

وهذا ما ذهب إليه «الآلوسي» (١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ/١٨٠٢ - ١٨٥٤م) في تفسيره «روح المعاني» بعد أن استعرض بعض الآراء التي حاولت أن تقيد الآية وتخرجها عن العموم، كالذي ذهب إليه «إبن زيد» بتقييد الأمر الجامع بالجهاد، أو ما قال به «الضحّاك» و«ابن سلام» وهو: كل صلاة فيها خطبة كالجمعة والعيدين والإستسقاء، وأضاف إليهم «ابن جبير» الجهاد من غير ذكر الإستسقاء، وبعد ذكر هذه الآراء يعلّق «الآلوسي البغدادي»: ولا يخفى أن الأولى العموم، وإن كانت الآية نازلة في حفر الخندق(١٥).

وأما كلامٌ جامعٌ والذي يرتبط باللغة ونظمها البلاغية، وقدرتها على تكثيف المعاني، فهو يعني ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه.

وبهذا المعنى يُقال جوامع الكلم وهو ما إتصف به البيان القرآني كما جاء على لسان النبي الأكرم (ﷺ) «**أتيت جوامع الكلم**» يعني القرآن الكريم، الذي اجتمعت فيه المعاني الكثيرة التي لا تنفد في الألفاظ القليلة. والمفسرون إلى اليوم، مع كثرة التفاسير، القديمة والحديثة والمعاصرة، وتنوّع إختصاصاتها اللغوية والكلامية والتربوية والعرفانية، ومع ما يوليه العلماء والمختصون من إهتمام بالقرآن وتفسيره وعلومه ومعارفه ، فلا أحد منهم يقطع بأنه تم إستنفاذ معاني القرآن ، بل إن أكثر من يشعر بكثافة معاني القرآن المتجددة، هم المفسرون أنفسهم ، وما ينتهي الواحد منهم من تفسيره الذي بذل فيه من الوقت والجهد والبحث ما هو غير قليل كما هو واضح في أكثر التفاسير، إلا ويشعر في نفسه بالحاجة إلى عمل تفسير آخر . وهذا شعور كل من يقترب من القرآن الكريم وينهل من علومه ومعارفه.. ونحن اليوم وبعد ألف وأربعمائة سنة من زمن نزول القرآن، لا نزال بحاجة إلى تفسير جديد لحياتنا المعاصرة الشديدة التعقيد.... وقد إشتهر عند البعض أن كل جيل وفي كل زمان بحاجة إلى تفسير للقرآن. وأن أفضل طريقة للتعامل مع معارف القرآن أن ننظر إليه في كل عصر كما لو أنه نزل علينا الآن. وقد وصف القرآن نفسه فظهر عجز البشرية على الاحاطة بكل ما

احتواه من كنوز ومعارف، كما في قوله تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾[١٦].

وإستشهد «إبن منظور» دالا على هذه الحقيقة بهذه الآية فى قوله تعالى ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[١٧] ، وهكذا كل أيات القرآن الحكيم .

وفي بيانه(ﷺ) كان يوصف بأنه يتكلّم بجوامع الكلم، أي أنه كان كثير المعاني قليل الألفاظ.

كما أن علماء المسلمين قد استخدموا لفظ «الجامع» في كثير من مؤلفاتهم في علوم القرآن والحديث والفقه والأصول كـ«جامع البيان عن تأويل آي القرآن» للإمام «محمد بن جرير الطبري» أو «الجامع الصحيح» في الحديث للإمام البخاري أو «جامع الشرائع في الفقه» للشيخ «يحيى بن وحيد الحلّي» و«جامع المقاصد» للشيخ «الكركي» ، و«جامع الأصول» فى الأصول لـ«إبن الأثير»، وغيرها من الكتب العديدة .

والمقصود من لفظ «الجامع» في هذه المؤلفات هو الإحاطة والشمولية، والتي لم تأت جزافاً عند هؤلاء، وإنما بعد بذل أقصى الجهد واستفراغ ما بالوسع من البحث والتنقيب والتحقيق، كما هو المعروف عند العلماء المحققين.

وأما الجامع بمعني المسجد وهو المكان الخاص للعبادة ، فهو مقصدنا الرئيسي في دراسة هذا المفهوم.. وما بين الجامع والمسجد من حيث الإستعمال في العرف واللغة هناك ثلاثة إستعمالات:

الأول: الإستعمال على سبيل الترادف، كأن نطلق على المكان الخاص للعبادة، تارة عنوان المسجد، وتارة عنوان «الجامع». كما هو حاصل في المجتمعات الإسلامية، ففي مناطق كالخليج والجزيرة العربية يستعملون إسم «المسجد» وفي مناطق بلاد الشام والعراق وشمال افريقيا يستعملون إسم «الجامع».

الثاني: يقال المسجد الجامع، مع الألف واللام في لفظ المسجد، والجامع هنا نعت للمسجد لأنه علامة للإجتماع.

الثالث: يقال مسجد الجامع، من غير الألف واللام في لفظ المسجد. ويُراد من الجامع هنا الإضافة، كقولك: الحق اليقين وحق اليقين، بمعنى مسجد اليوم الجامع، وحق الشيء اليقين، لأن إضافة الشيء إلى نفسه لا تجوز إلا على هذا التقدير.

وكان «الفرّاء» يقول: «إن العرب تضيف الشيء إلى نفسه لاختلاف اللفظين»، وروى «الأزهري» عن «الليث» قال: ولا يقال مسجد الجامع»، ثم قال «الأزهري»: النحويون أجازوا جميعاً ما أنكره «الليث»[١٨].

والحقيقة أن كل هذه الإستعمالات صحيحة وشائعة، والتفريق بين الإستعمال الثاني والثالث، هو تارة نقول، المسجد الجامع بمعنى أن كل مسجد بالأصالة هو جامع، أي يجمع الناس، ويجتمعون فيه. والجامع هنا لا يقصد به الإضافة وإنما النعت .. وأخرى نقول: مسجد الجامع تمييزاً لهذا المسجد باعتبار ما يُقام فيه من صلاة الجمعة والعيدين وكل المناسبات العامة للناس، وقد يُطلق عليه المسجد الكبير، والجامع هنا يصدق عليه الإضافة.

أما عن التفريق في الإستعمال الأول فمع شدة التفريعات الدقيقة لكل ما لمصدر الكلمة من إشتقاقات في معاجم اللغة، إلا أنني لم أجد في هذه المعاجم القديمة والحديثة من فرق بين كلمة «مسجد» وكلمة «جامع» مع ما بينهما من فرق بليغ يقبل الإتصال والتكامل معرفياً. وهذا ما أود أن أضيفه في هذا المجال.

يمكن القول إن «المسجد» هو مفهوم خاص ومضمونه عبادي، والجامع مفهوم عام ومضمونه إجتماعي. في المفهوم الخاص يلحظ في المسجد علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى، وفي المفهوم العام يلحظ في الجامع علاقة الناس بعضهم ببعض.

والمسجد مفهوم خاص لأن القصد الأولي في أصالته للعبادة، فهو بيت الله في الأرض خاص لعبادته، والتقرّب إليه وحده لا شريك سواه، وكل الوظائف الأخرى هي متفرعة أو ثانوية لهذا الأصل الأولي، ويفترض فيها أن تتلون به أيضا.

والمسجد إنما سمي بهذا الإسم لأنه المحل الذي يسجد فيه إلى الله جل شأنه دون سواه. ومصدره «سجد» بمعني إنحنى وخضع ووضع جبهته بالأرض خاضعاً متعبداً . والمسجَد - بفتح الجيم - يطلق على جبهة الإنسان لأنها تصيب الأرض حال السجود، كما يطلق على بعض أعضاء بدن الإنسان مساجد، وهي الأعضاء السبعة التي يسجد عليها وهي: الجبهة واليدان والركبتان وطرفا إبهامي القدمين. وهذه الأعضاء لها نوع من الإحترام في التشريعات الإسلامية لأنها من المساجد.

والإسلام يرمز للعبادة بالصلاة، وهي أول ما يقبل من اعمال الإنسان يوم القيامة، وإذا قبلت قبل ما سواها، وإذا رُفضت رُفض ما سواها. والسجود الذي هو ركن من أركان الصلاة، هو من أبلغ حالات العبادة، ومن أكثرها تعبيراً للخضوع والتذلّل. ففي الحديث الشريف عن الإمام «جعفر بن محمد الصادق»(ع) قال: «السجود منتهى العبادة من بني آدم»(١٩).

وعن الإمام «علي بن موسى الرضا» (ع) قال: «أقرب ما يكون العبد من الله عز وجل وهو ساجد»(٢٠). وقد سُئل الإمام «علي»(ع) عن معنى السجود فقال: «معناه منها خلقتني، يعني من التراب، ورفع رأسك من السجود معناه منها أخرجتني، والسجدة الثانية، وإليها تعيدني، ورفع رأسك من السجدة الثانية ومنها تخرجني تارة أخرى. ومعنى قوله سبحان ربي الأعلى ، فسبحان أنفة لله وربي وخالقي، الأعلى: أي علا وارتفع في سماواته، حتى صار العباد كلهم دونه وقهرهم بعزّته، ومن عنده التدبير وإليه تعرج المعارج»(٢١).

ومن أجل مقاصد السجود إلى الله وحكمته هو تطهير الإنسان من الكبر والتكبّر وهو جذر صفات الفساد والإفساد في الإنسان، وأول صفة ذميمة خرجت عن طاعة الله سبحانه وتعالى وعن نظامه التشريعي، حيث رفض إبليس السجود لآدم بأمر الله ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾(٢٢).

وقد عبر القرآن الكريم عن النظام الكوني بكل ما في السماوات من أفلاك ومجرات وسنن وقوانين، وما في الأرض من كائنات مختلفة ودواب، بأنها كلها تسجد إلى الله سبحانه وتعالى ولا يستكبرون ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾(٢٣) فلأنهم يسجدون إلى الله فهم لا يستكبرون، والسجود بمعني الخضوع والإنقياد إلى النظام الكوني بسننه وقوانينه، ولا يستكبرون أي ولا يخرجون عن هذا النظام.

وهذه الآية تشمل الإنسان الذي يدخل تحت عموم الدابة، كما عن صاحب تفسير الميزان، الذي يفسر الدابة: ما يدب ويتحرك بالإنتقال من مكان إلى مكان(٢٤)، وبمعني الموجودات الحية كما في تفسير الأمثل(٢٥). وهذا الإشتمال يصدق على الإنسان بلحاظ إنقياده التكويني، ولا يصدق عليه الإنقياد التشريعي. لأن في الإنقياد التكويني لا قدرة للإنسان على الكبر والتكبّر والإستكبار، لأنه محكوم بقانون الجبر التكويني. أما في عالم التشريع ومع قانون الإختيار، فإن صفة الكبر تلازم الإنسان وقد تبعده عن مفهوم وغاية السجود لله والإنقياد له في عالم التشريع .

من هنا نكتشف علاقة تضاد بين السجود والإستكبار، فالسجود هو شدّة التواضع إلى درجة الخضوع والتذلّل الذي لا يجتمع مع الكبر والتكبّر، وهو الحالة التي قد تورث في الإنسان قابلية التمرّد والخروج على عالم التشريع، الذي ينظم علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى. والله هو المتكبر، وحينما يتكبر الإنسان فكأنما ينازع الله جل شأنه في ردائه كما جاء في حديث شريف.

من جهة أخرى أجاز الإسلام للإنسان أن يتظاهر بالتذلّل والخضوع لغيره من البشر للوالدين أو لمعلّم، أو لسلطان، أو لزعيم، وأن يبالغ في شدّة التواضع والإحترام إلى حد لا ينتهي إلى السجود، لأن السجود لا يجوز إلا إلى الله جلّت قدرته دون سواه.

ويذكر«الجصاص أبو بكر الرازي» (ت-٣٧٠هـ/٩٤٩م) أن: السجود كان جائزاً في شريعة آدم(عليه السلام) للمخلوقين ويشبه أن يكون قد كان باقياً إلى زمان يوسف(عليه السلام) فكان فيما بينهم لمن يستحق ضرباً من التعظيم، ويُراد إكرامه وتبجيله، بمنزلة المصافحة والمعانقة فيما بيننا، وبمنزلة تقبيل اليد، وقد رُوي عن النبي(ﷺ) في إباحة تقبيل اليد أخبار، وقد روي الكراهة، إلا أن السجود لغير الله على وجه التكرمة والتحية منسوخ بما روت عائشة وجابر وأنس أن النبي(ﷺ) قال: **«ما ينبغي لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح بشر أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها»** (٢٦) .

فهذه حكمة تسمية المسجد كناية لمحل السجود إلى الله وهو منتهى العبادة، ولأن السجود يطهر الإنسان من الكبر، فلا يكون أمامه من هو أكبر من الله جلّ شأنه، وهذه الحالة قد تُكسب الإنسان الإخلاص والخشوع والإلتزام والتواضع في عباداته ومعاملاته وفي كل عالم التشريع.. هذا هو المعني الخاص أو الأولي لمفهوم المسجد ومضمونه العبادي. وأما عن مفهوم الجامع فهو كما أشرنا على علاقة بالمضمون الإجتماعي، والذي نستفيده من دلالات اللفظ، ومن حقيقته، ومن حكمة المسجد في الإسلام وفلسفته في التشريع الإسلامي. الجامع إنما سُمَي بهذاالإسم، لأنه المكان الذي يجمع الناس ويجتمعون فيه، ويكن جامعاً لهم، وهذا الجمع والإجتماع يكون على نحوين: على نحو الإنشاء، وعلى نحو الإخبار، وعلى كليهما يصح. فعلى نحو الإنشاء: فإن الإسلام أعطى من المكانة للمسجد، ما يجعله محوراً فى حياة المجتمع وأنشطتهم العامة، وذلك لمحورية الدين في حياة الأمة.. وإذا كان في كل مجتمع بشري محور ومركز يلتقي ويجتمع فيه الناس، ويتبادلون فيه قضاياهم ومنافعهم، ويتشاورون في أمورهم فإن المسجد هو محور ومركز المجتمع الإسلامي. كما أن بيت زعيم القبيلة والعشيرة هو محور ومركز المجتمع القبلي والعشائري، وكما كانت دار الندوة محوراً في المجتع العربي قبل الإسلام ، وكما أن الأسواق تكون محوراً لبعض المجتمعات وغيرها من المحاور الأخرى.. وفي المجتمعات المعاصرة تعددت هذه المحاور، لإتساع حياة الناس وتكاثرهم السكاني، وتمددهم الجغرافي، وما دخل على حياتهم من تعقيد وحاجات وصناعات جديدة ومختلفة، والمسجد هو محور المجتمع الإسلامي لأنه المكان الذي يجمع الناس على الدين والعبادة ويؤسس لهم هذه الرابطة الدينية والتي هي من

أوثق الروابط، وأطهرها، وأنفعها للناس في قضاياهم الخاصة والعامة، ولأنه – أي المسجد– مصدر للتوجيه الديني والأخلاقي، ومكان لنقل الفكر والثقافة، وبيت للعلم، ولكل أنشطة البحث العلمي.. وتتعدد وظائف المسجد لكل ما له علاقة بشؤون الناس العامة..

ويكشف عن إتساع هذه الوظائف للمسجد وتعددها ما جاء في حديث شريف عن الإمام علي(ع) قال: «من اختلف إلى المسجد أصاب إحد ثمان: أخاً مستفاداً في الله، أو علماً مستطرفاً، أو آيةً محكمةً، أو رحمةً منتظرة، أو كلمة تردّه عن ردى ، أو يسمع كلمة تدلّه على هدى، أو يترك ذنباً خشية أو حياء»[٢٧].

ومما يساعد على تدعيم محورية المسجد بعض ما يتصف به من خصوصيات ترتبط بالمكان، والذي عادة ما يكون في مكان حيوي بالنسبة للمنشآت السكنية، وبعض الخصوصيات الهندسية التي تجعل من المسجد في مساحته وتفصيله الهندسي والفني ما يجعله مهيئا لأن يضم اعدادا كبيرة من الناس تحت سقف واحد مفتوح ومكشوف على الجميع بحيث يسهل عليهم أن يتعرّف بعضهم على بعض.. إلى ما هناك من خصوصيات فنية وجمالية إستوقفت إنتباه وإعجاب المهتمين والمختصين في علوم الهندسة والعمارة والفن..

وما يكشف لنا عن محورية المسجد في المجتمع الإسلامي، هو وصفه ونعته بالجامع، أي الذي يكون جامعاً على الدين لكل الناس بكل فئاتهم المهنية، للمعلم والطبيب والمهندس والمحامي والاداري والباحث الإجتماعي وغيرهم، وطبقاتهم الإجتماعية للفقير والغني، للرجل والمرأة، ومذاهبهم الدينية التي تلتقي على أصول الدين، لأن المسجد هو بيت الله في الأرض، فلا يصح أن يكون لمذهب دون آخر، أو لمرجع دون مرجع، أو لمنطقة دون منطقة، أو لجماعة دون جماعة، أو لعائلة دون عائلة، أو لفئة دون فئة ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴿١٨﴾ ﴾[٢٨].
فالمسجد هو المؤسسة التي تؤسس لوحدة الأمة، وتحفظ ترابطها وتماسكها، وتجمعها على الدين الواحد، وحتى يقوم المسجد بهذه الوظيفة فلابد أن يتحقق شرط هذه الآية وهو ﴿ **فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴿١٨﴾ ﴾..

وأي فرقة أوتفريق أو نزاع هو انتهاك لحرمة المسجد وأحكامه ومقاصده، بل ويخرج عن أصالته بكونه بيتاً لله ويكون مسجد ضرار كما وصفه القرآن، قال تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴿١٠٧﴾ ﴾[٢٩].

والمشكلة أن ما أصاب الأمة من تفكك وانقسام وفرقة ترك أثره على مساجد المسلمين، فأصابها ما أصاب الأمة من تقسيمات وفرقة، فأصبح هناك مساجد بحسب تقسيمات المذاهب والفرق، ومساجد بحسب تقسيمات المناطق والأمكنة، وتقسيمات بحسب الدول والجنسيات، وأخرى بحسب المراجع والعلماء، وبحسب الجماعات والفئات.. وغيرها من التقسيمات الأخرى.

ولم تسلم من هذه الحالة حتى المساجد التي أقيمت في بلاد الغرب في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية حيث كان يفترض أن يكون المسجد هناك هو الرمز الإسلامي، الذي يقدم لتلك المجتمعات، وبالذات لمن يعتنقون الإسلام، النموذج الأمثل للإسلام الحضاري باشعاعه العلمي والأخلاقي الرفيع. وبعد أن تكرّست هذه الحالة من التقسيمات أصبح من الحرج أن يدخل البعض مسجد من يختلف معهم في المذهب أو الجماعة وغيرها من التقسيمات، وإن دخل أحدهم فقد ينتابه شعور بالغربة، وكأنه لم يدخل بيتاً من بيوت الله التي أُمرت أن يُذكر فيها اسمه، وأن يُعبد فيها وحده، وأن لا يُدعى فيها مع الله أحد، وإنما دخل بيتاً هو أشبه ببيت جماعة من الناس.

وأما على نحو الإخبار فإن المسجد هو المكان الذي يجتمع فيه الناس للصلاة والعبادة، وكما قيل : إنما سميت الجمعة في الإسلام لإجتماع الناس للصلاة في المسجد، بعد أن كان يسمى هذا اليوم في زمن ما قبل الإسلام عند العرب بيوم العروبة، وكان له شأنه عندهم ، كما أصبح له شأن آخر عند المسلمين يفوق ما كان عليه في سابق عهده.

وسمّى المسجد «جمعاً» لإجتماع الناس فيه، وقد كان متعارفاً عند الناس قديماً وإلى هذا اليوم عند بعض المجتمعات أن المكان الذي يعتاد الناس على الإجتماع فيه يسمّى جامعاً. وقد يكون هذا المكان سوقاً، أو بيتاً أو ساحة ، أو مؤسسة أو منشأة.. الخ..

ومن المفيد أن نتأمل في الكيفية التي أرادها رسول الله (ﷺ) في تشييد أول مسجد في الإسلام بعد هجرته إلى المدينة، الذي يؤرخ له في كتب التايخ بأول عمل قام به بعد الهجرة حال وصوله إلى المدينة، والذي يكشف لنا عن حكمة لها علاقة بمقاصد المسجد في المجتمع الإسلامي.

فعن «الطبري» في تاريخه قال: «إن رسول الله(ﷺ) ركب ناقته، وأرخى لها الزمام، فجعلت لا تمر بدار من دور الأنصار إلا دعاه أهلها إلى النزول عندهم، وقالوا له هلمّ يا رسول الله إلى العدد والعدة والمنعة، فيقول لهم(ﷺ) خلّوا زمامها فإنها مأمورة، حتى

انتهى إلى موضع مسجده اليوم، فبركت على باب مسجده، وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني نجار في حجر معاذ بن عفراء، يُقال لأحدهم سهل، وللآخر سهيل، وابنا عمر بن عباد بن ثعلبة بن مالك بن النجار، فلما بركت لم ينزل عنها رسول الله(ﷺ) ثم وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله(ﷺ) واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفتت خلفها، ثم رجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ووضعت جرانها ونزل عنها رسول الله(ﷺ) فاحتمل أبو أيوب رحله فوضعه في بيته فدعته الأنصار إلى النزول عليهم، فقال رسول الله(ﷺ): المرء مع رحله فنزل على أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب»(٣٠).

فأمر رسول الله (ﷺ) أن يُبنى المسجد في هذا المكان الذي بركت فيه الناقة.

ولا شك أن هناك حكمة في هذه الطريقة التي اتبعها رسول الله(ﷺ) فلم يترك الإختيار لنفسه، ولم ينزل تحت رغبة أحد من الأنصار الذي كان كل واحد منهم يتمنى لنفسه لو يعمّر المسجد في داره، فقد سلب عن نفسه(ﷺ) وعن الناس الإختيار، وتركه للناقة، وطمأن الناس بأنها مأمورة، ولا تحكمها رغبات الإنسان وميوله، ولعل الحكمة من وراء ذلك على علاقة بالمقاصد التي يؤسسها الإسلام للمسجد في ان يكون جامعاً لكل الناس من غير فرق بينهم ولا تفاضل.

فلم يرد رسول الله(ﷺ) أن يُرضي أحداً أو فئة أو جماعة من الناس على غيرهم، ولم يُرد أن يُدخل في نفوسهم هذا الإحساس . لأنه أراد من المسجد أن يكون جامعاً لكل الأمة ، موحداً لها لا مفرقاً، جامعاً لها لا مجزءاً، رابطاً لها لا مفككاً. وهو أول عمل قام به في مجتمع المدينة ليجعل منه المكان الذي يجمع الناس ويجتمعون فيه، وهو يضع اللبنات الأولى في تأسيس أول مجتمع إسلامي الذي كان فيه للمسجد الدور الحيوي والكبير، والذي قد يقارن بدور مؤسسة السلطة في الأمة، فكانت له المحورية الفاعلة، وقد اشتهر بأنه من أهم وأنشط المؤسسات الدينية والإجتماعية التي نهض بها الإسلام في حياة المسلمين.

وبهذه الطريقة التي اتبعها رسول الله(ﷺ) أصبح المسجد هو المكان الذي يجتمع فيه الجميع من غير حرج، أو عصبية، أو ممانعة، خصوصاً في مجتمع العصبية فيه كان لها الدور الكبير في نسج علاقاته وأطره وشكله الإجتماعي كالذي كان عليه حال المجتمعات العربية قبل الإسلام، ويذهب الدكتور «وليد نويهض» إلى أن إنتشار الدعوة الإسلامية في صدرها الأول أحدثت تحولاً فلم تعد الخيمة هي مركز القبيلة أو المدينة ، بل المسجد الذي تحول إلى مركز المدينة ومكان إجتماع الدولة.. وانتقال الإجتماع العربي في الجزيرة من الخيمة - الوحدة الصغرى في العشيرة - وهي تشبه العائلة

النواتية – الأسرة – في العصر الراهن إلى المسجد كمكان للإجتماع، أحدث انقلاباً في العلاقات بين العشائر والقبائل العربية. فالإجتماع لم يعد علي أساس عصبي – نسبي يفرز مصالح اقتصادية وقرابية بل تحول إلى أساس سياسي – ديني يُعيد صوغ العلاقات وفق مصالح مركبة ومعقدة(٣١).

كما أن من المفيد أن نذكر أول خطبة في أول جمعة لرسول الله(ﷺ) في المدينة المنورة والتي تشرح لنا رسالة المسجد، ورسالة صلاة الجمعة وبعض مقاصدهما ، وهي الصلاة التي قال القرآن الكريم عنها في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون﴾(٣٢).

فهي الصلاة التي يجتمع فيها – كما يفترض – كل المسلمين، ولا يشغلهم عنها وعن ذكر الله شيء من البيع وغيره.

ونص هذه الخطبة كما وردت في تاريخ الطبري:

«حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال حدثني سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه عن خطبة رسول(ﷺ) **في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف (الحمد لله) أحمده، وأستعينه، وأستغفره، وأستهديه، وأومن به، ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ، والنور والموعظة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان، ودنوّ من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى ، وفرط وضل ضلالاً بعيداً، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذّركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً، وإن تقوي الله لمن عمل به على وجل، ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد. والذي صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلاف لذلك فإنه يقول عز وجل ﴿ ما يبدّل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ﴾ فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً وإن تقوى**

الله يُوقى مقتـه، ويوقى عقـوبتـه، ويُوقى سـخطه، وإن تقـوى الله يبـيض الوجـوه، ويُرضى الرب، ويرفع الدرجـة؛ خـذوا بحظكم، ولا تفـرطوا في جنب الله؛ وقـد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا، ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم وسماكم المسلمين. ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ على بينة، ولا قوة إلا بالله، فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه؛ الله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم»[٢٣].

بقي أن نشير إلى علاقة المسجد كمضمون عبادي، والجامع كمضمون إجتماعي، والعلاقة هنا جوهرية وواضحة، فالمضمون العبادي هو جوهر ومكوّن المضمون الإجتماعي، بمعنى ان المسجد ينسج للناس جامعاً لعلاقاتهم وروابطهم على أساس ديني وعبادي، بحيث يضفي على هذه العلاقات التقوى والإحترام والتواضع والتراحم والتكافل والتعاون، ويحفظ لها التماسك والفاعلية والإستمرار.. وإذا كان المضمون العبادي يؤسس لعلاقة الإنسان بالله، والمضمون الإجتماعي يؤسس لعلاقة الإنسان بالإنسان، فإن النوع الأول من العلاقة هو الذي يمهد ويؤسس للنوع الثاني. فمن كانت علاقته مع الله سبحانه وتعالى حسنة كانت علاقته كما يفترض مع الناس حسنة كما تكشف عن ذلك بعض الأحاديث الشريفة.

ويتفرع عن هذين النوعين من العلاقات ، نوع ثالث هو علاقة الإنسان مع نفسه، في إطارها العبادي مع الله جل شأنه، وفي إطارها الإجتماعي مع الناس.

والدين الإسلامي جاء لكي يلبي حاجة الإنسان إلى هذه العلاقات الرئيسية والعامة، لأن تعاليم الإسلام تتفرع إلى ثلاثة أمور: إلى تعاليم عقائدية، وتعاليم أخلاقية، وأحكام تشريعية. فالتعاليم العقائدية توجه علاقة الإنسان بالله، والتعاليم الأخلاقية توجه علاقة الإنسان بأخيه الإنسان والأحكام التشريعية توجه علاقة الإنسان بذاته.

ومن مجموع هذه العلاقات يتولد منها نوع رابع هو علاقة الإنسان بالكون والعالم والطبيعة... وهذه هي العلاقات الكلية والعامة للإنسان في هذه الحياة.

ثانياً: الجامعة

من الإستعمالات القديمة لهذا اللفظ أنه كان يطلق على أحد أسفار الكتاب المقدس من أسفار العهد القديم، ومن القسم الذي يطلق عليه (الكتابات) حيث يقسم العهد القديم الذي يعترف به البروتستانت إلى ثلاثة أقسام، الأول: ويطلق عليه(التوراة) ويشمل أسفاراً خمسة، والثاني: ويطلق عليه (أسفار الأنبياء) وهي على نوعين: أسفار

الأنبياء المتقديمن، وأسفار الأنبياء المتأخرين، والقسم الثالث: ويطلق عليه (الكتابات) الذي يتشعب إلى ثلاثة أنواع: الكتب العظيمة، والمجلات الخمس، والكتب. وسفر (الجامعة)، هو من النوع الثاني أي من (المجلات الخمس).

وبعض رجال اللاهوت من اليهود لا يوافقون على ضم سفر (الجامعة) إلى أسفار العهد القديم. وللمسيحيين الكاثوليك تقسيم آخر لأسفار العهد القديم، التي تنقسم عندهم إلى خمسة أقسام هي: أسفار موسى الخمسة، أسفار تاريخية، أسفار شعرية، أسفار نبوية، أسفار تعليمية.

وسفر (الجامعة) عندهم في القسم الثالث من (أسفار شعرية) لأنه نوع من الشعر يطلق عليه شعر الحكمة، وهو قريب الشبه بالإصحاحات الأولى من سفر الأمثال، حيث يتحدث حكيم له خبرة ومعرفة يسميه سفر (الجامعة). وينسب إلى نبي الله (سليمان)(عليه السلام). وهو ليس له كما في نظر بعض الدارسين لتاريخ الديانات[٣٤].

وفي تاريخ التشريع الإسلامي اشتهر عند الشيعة الإمامية كتاب عُرف بكتاب (الجامعة) وينسب إلى الإمام علي(ع) أملاه عليه رسول الله(ﷺ). وقال عنه السيد «محسن الأمين» [١٢٨٤-١٣٧١هـ/١٨٦٥-١٩٥٢م] الذي عدّه من مؤلفات الإمام علي(ع): «الجامعة وهي كتاب طوله سبعون ذراعاً من إملاء رسول الله(ﷺ) وخط علي(ع) مكتوب على الجلد المسمى بالرق، وكان غالب الكتابة عليه في ذلك العصر لقلة الورق. وهو أول كتاب جمع فيه العلم على عهد رسول الله(ﷺ). وتكرر ذكرها في أخبار الأئمة عموماً وفي أخبار المواريث خصوصاً. وكانت عند الإمام أبي جعفر محمد الباقر، وإبنه أبي عبد الله جعفر الصادق(ع) رآها عندهما ثقاف أصحابهما وتوارثها الأئمة من بعدهم[٣٥].

وعن هذا الكتاب جاء في حديث عن الإمام محمد الباقر رواه عنه أبو بصير قال: أخرج إلينا أبو جعفر(ع) صحيفة فيها الحلال والحرام والفرائض. قلت: ما هذه؟

قال: هذه إملاء رسول الله(ﷺ) وخط علي بيده. [إلى أن قال] هي الجامعة، أو من الجامعة[٣٦].

وفي حديث آخر أن أبا بصير سأل الإمام جعفر الصادق(ع): ما الجامعة؟

فقال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله(ﷺ)، وإملائه من فلق فمه - شق فمه - وخط علي(ع) بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج إليه الناس.

وقد أطلق على هذا الكتاب في بعض الروايات والأحاديث بالصحيفة أو بكتاب علي(ع).

ونقل عن كتاب الجامعة غير واحد من علماء السنة، أمثال «ابن سعد» في آخر كتابه «الجامع»، وذكرها الإمام «البخاري» في ثمانية مواضع وبثماني طرق في صحيحه.

وقد جمع للدكتور« رفعت فوزي عبد المطلب»، ما نقل عنها في كتب الحديث السنية، ودرسه ووثقه في كتابه «صحيفة علي بن أبي طالب عن رسول الله(ﷺ) في دراسة توثيقية فقهية»(٣٧).

كما يطلق لفظ الجامعة على الغُلّ أي القيد وقيل له ذلك لأنه يجمع اليدين إلى العنق.

أما الجامعة التي يراد منها مؤسسة التعليم العالي، فإن هذه الكلمة إنما اطلقت في بادئ الأمر كما جاء في (الموسوعة العربية): على مجموع الطلاب والمدرسين الذين كانوا يؤلفون رابطة أو جماعة تشبه النقابات، تعترف بها الدولة، وتتمتع باستقلال ذاتي وامتيازات خاصة. ومنذ القرن الرابع عشر الميلادي أصبحت الكلمة تطلق على مؤسسة التعليم نفسها ، المؤلفة من عدة مدارس أو كليات، يختص كل منها بفرع معين من المعرفة، وقد يطلق هذا الاسم على المدارس الفلسفية ومدارس الخطابة في اليونان القديمة، وفي العهد الهلينستي مثل أكاديمية «أفلاطون» و«متحف الاسكندرية»، كذلك يمكن وصف المدارس العربية – الإسلامية مثل جامع «القرويين» و«الأزهر» والمدرسة «النظامية» بأنها جامعات...(٣٨).

وكانت الدراسة في الجامعات في بادئ الأمر حول اللاهوت والفلسفة، (التي تشمل العلوم والفنون الأداب) ثم الحقوق والطب، أي أنها كانت تتألف عادة من أربع كليات ولكن تقدم العلوم وتشعبها في العصور الحديثة أدى إلى تأسيس كليات جديدة متعددة. كما أن طرائق التدريس تبدلت فازدادت العناية بالمعامل والمكتبات وحلقات البحث، ولم تعد الجامعات تهدف إلى التعليم ونشر المعارف البشرية فحسب بل إنها تسعى كذلك إلى البحث العلمي والإعداد المهني وتربية الشخصية. بينما ازدادت الجامعات وتكاملت في الغرب خلال العصور الحديثة. تلاشت المدارس العربية القديمة ولم يبق منها إلا القليل الذي اقتصرت فيه الدراسة على العلوم الدينية واللغوية، ولم يبدأ تأسيس الجامعات في العالم العربي الا في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي(٣٩).

وأول كلية حديثة تم افتتاحها في العالم العربي هي كلية الطب بالقاهرة سنة ١٨٢٧م، ثم جاءت بعدها الجامعة الامريكية في بيروت سنة ١٨٦٦م، وجامعة القديس

يوسف في بيروت ايضا سنة١٨٧٥م، وبعدها جامعة الجزائر سنة ١٨٧٩م، ثم الجامعة المصرية التي أنشئت سنة ١٩٠٨م، وبعدها تلاحقت الجامعات في العالم العربي والذي يقدر عددها اليوم بما لا يقل عن ٦٥ جامعة.

ومع مطلع عام ١٩٩٣م تقوم هذه الجامعات بتدريب ما لايقل عن (٧ر٤) مليون طالب وطالبة مستخدمة لذلك حوالي (٢٨٠٠٠٠) عضو هيئة تدريس استاذ، استاذ مساعد، مدرس، خبير فني، تقني .. الخ وهي نسبة تنوف بقدر (١٠٪) عن مثيلتها في العالم النامي وسطياً، إلا أن ذلك لا يشكل دليلا على تقدم تلك الجامعات كما هو في جامعات العالم المتقدم والتي تمتلك وسطياً نسبة لا تزيد عن (١٢) طالبا لكل استاذ عند مطلع عام ١٩٩٣[٤٠].

وما نريد أن نتوقف عنده هو تحليل المفهوم، فما الذي نفهمه من مفهوم "الجامعة" وما دلالة هذا اللفظ على المصداق؟

الذي نفهمه من كلام الموسوعة العربية إن لفظ «الجامعة» في بادئ الامر لوحظ فيه العنصر البشري وهو مجموع الطلاب والمدرسين الذين يؤلفون رابطة أو جماعة. ثم أطلق فيما بعد على مؤسسة التعليم، وهذا ما أخذت به معاجم اللغة التي نظرت إلى هذا اللفظ من جهة ضمه لمجموعة من المعاهد، والكليات.. ففي «المنجد» ان الجامعة اسم يطلق علي المؤسسة الثقافية التي تشتمل على معاهد التعليم العالي في أهم فروعه، وفي «المعجم الوسيط» الجامعة: مجموعة معاهد علمية تسمى كليات.

والذي يبدو من هذين التعريفين انهما قد اخذا من ارجاع الاسم «الجامعة» إلى مصدره الثلاثي «جمع» والذي هو في «المنجد» جمع جمعا المتفرق ضمه وألفه. وفي «المعجم الوسيط» جمع المتفرق جمعا: ضم بعضه إلى بعض.

والمتفرق الذي ضم بعضه إلى بعض في الجامعة هو المعاهد والكليات العلمية التي ضمت إلى بعضها في مكان واحد أطلق عليه اسم الجامعة.

هذا في حدود اللغة.. أما الذي نريد أن نعرفه: ما هو الشيء الذي جمعته الجامعة حتى صدق عليها هذا الاسم؟

قد يصدق هذا الشيء على الأفراد من الطلاب والمدرسين الذي يؤلفون الجمع العلمي والأكاديمي. وقد يصدق عليه – ايضا – مجموع المعاهد والكليات..

والذي نضيفه في هذا المجال هو على علاقة بين هذين الامرين ويجمع بينهما ، أي بين الإنسان والعلم، وهما ركيزتان تتقوم منهما الجامعة، فمن حيث تطور علاقة الإنسان بالعلم، التي تبدأ مع الإنسان من ابجديات العلم في مراحله التمهيدية الاولى، ويتطور معه اكتساب العلم في مراحله المتوسطة، أو ما يسمى بالاعدادية، وإلى الثانوية، وهي المرحلة التي تمهد للتعليم العالي. ويجتمع العلم عند الإنسان كما يفترض مع مرحلة الجامعة، التي يتركز فيها العلم عند الإنسان، ويتطور مستوى النضج عنده من جهة الاحاطة والاستيعاب والقدرة على العطاء العلمي الناضج.

فالجامعة حسب هذا التصور هي المرحلة التي يكون فيه العلم مجتمعاً عند الإنسان، بعد أن كان متفرقا، ويضم بعضه إلى بعض في هذه المرحلة.

هذا من جهة الإنسان، أما من جهة العلم، فإن الجامعة هي المؤسسة التي تجمع مختلف حقول العلم، ولأن العلم يجتمع فيها بحقوله وميادينه المختلفة فهي جامعة، أي جامعة للعلم..

وهذا يؤكد على حيوية وضرورة التعليم الجامعي للإنسان والمجتمع، لأن في هذه المرحلة يكتسب الإنسان النضج العلمي بما يهيئه على العطاء العلمي وتحكيم العلم في حياته وعلاقاته، ومواقفه، والنظر إلى الامور من حوله من احداث ووقائع وقضايا ومتغيرات من منظور العلم، الذي يكسب صاحبه التبين والتثبت والاحاطة، وأخذ الأمور بجدية وموضوعية. وكل هذه المواصفات هي من شروط المجتمع المتحضر.. ونحن بحاجة إلى أن نرتقي اليها، والإسلام بنظرته إلى العلم يقدم لنا الاختيار الامثل لهذه المواصفات ، لو اننا حاولنا ان نتفهم هذه النظرة ونحيط بأبعادها وشروطها..

كما ان هذه القيمة العالية للعلم، والمنزلة الرفيعة لأهل العلم، ينبغي أن نعكسها في نظرتنا وتعاملنا مع الجامعة لأنها منبع هذا العلم ومنارته وحصنه وجماعه. وفي وصف الشاعر الهندي «طاغور» يبق العقل فيها بلا خوف ، والرأس مرفوعا عاليا ، المعرفة فيها حرة، تخرج الكلمات فيها من اعماق الحقيقة، ولا يضل سياق المنطق السليم سبيله في وحشة رمال صحراء العادات البالية[٤١].

ثالثاً: الجماعة

الجماعة في اللغة هي طائفة أو فرقة من الناس يجمعها غرض مشترك، وأضاف إلى هذا التعريف صاحب «المعجم الوسيط» ميزة فارقة هي العدد الكثير من الناس.

ويطلق هذا اللفظ على غير الإنسان كأن يقال جماعة النحل، أو جماعة الشجر.

وتصنف الجماعات البشرية في أوسع وأبسط أصنافه إلى صنفين رئيسيين هما: الجماعة الأولية، والجماعة الثانوية.

الجماعة الأولية: وهي تتسم بعلاقات تنطوي على التعاون الشخصي الصميمي بين الافراد، والاتصال المباشر الذي يجري وجها لوجه ، وعلى اساس من التعاون التام القائم على التلقائية.

وكون الجماعة أولية يرجع إلى دورها الأساسي في تكوين وبلورة الطبيعة الإجتماعية والقيم الاساسية للفرد إلى درجة التحام الأفراد بجماعاتهم.

أما الجماعة الثانوية: فهي تجمع، أو جمع أضعف تماسكاً بالقياس للجماعة الأولية، وينتمي الأعضاء إلى هذا الصنف بصورة اختيارية أو طوعية ولغرض محدد وغالبا ما يكون نفعيا أو تعاقديا.

وإن وجود الجماعات على اختلافها يرجع أساسا إلى أن الأفراد هم اشخاص إجتماعيون لا يستغنون عن التعايش مع الاخرين ، لهذا فهم يحتاجون إلى الانتماء والعمل في نطاق جماعات متعددة ومتنوعة(٤٢).

ومثال الجماعة الأولية، الاسرة، ومثال الجماعة الثانوية، جمعيات النفع العام.

وفي علم النفس يطلقون على الجماعة الاولية بالجماعة المرجعية وتعرف عندهم بالجماعة التي نعتبر انفسنا من اعضائها والمنتمين اليها ، ومنها نستمد القيم والاهداف والمعايير الرئيسية. فالمرء يستمد منها مجموعة اتجاهات ويتمثلها فتصبح اتجاهاته هو، وتؤلف جزءاً من الأنا. فالانتماء إلى الجماعة يكسب العضو شعورا بالأمن والطمأنينة(٤٣).

واهم ما تمتاز به الجماعة إتصافها بروح عامة تجعل جميع أفرادها يشعرون ويفكرون ويعملون بكيفية تخالف تمام المخالفة الكيفية التي يشعر ويفكر ويعمل بها كل واحد منهم على إنفراده. وذلك كيفما كان أولئك الأفراد، وكيفما تباينوا واتفقوا في أحوال معيشتهم وفي أعمالهم اليومية، وفي أخلاقهم ومداركهم. وعلّة ذلك مجرد إنضمامهم إلى بعضهم وصيرورتهم جماعة واحدة. ومن الأفكار والمشاعر ما يتولد أو يتحول، فيخرج من عالم القوة، إلى عالم الفعل إلا عند الفرد في الجماعة(٤٤).

وفي الدراسات الإجتماعية يفرقون بين ثلاثة ظواهر إجتماعية، بين التجمع والجماعة والمجتمع.

الأول وهو مجرد حشد من الناس يكون طارئا وعفويا ويزول بزوال سببه، كالتظاهرة، والثاني الجماعة وهي لا تكون عفوية ولا طارئة، بل يقف وراء تكوّنها القصد، والتعاقد، والغرض المشترك، والثالث المجتمع وهوالأوسع من التجمع والجماعة والمستوعب لهما.

والجماعة كظاهرة ومفهوم في المنظور الإسلامي من دلائلها وأبعادها هذه الحقائق:

أولا: إن الجماعة حالة مستحسنة، وظاهرة ايجابية بين الناس ويكشف عن ذلك جماعة عن ذلك جملة من الاحاديث الشريفة كقول الرسول الاكرم محمد(ﷺ): **«يد الله مع الجماعة والشيطان مع من خالف الجماعة يركض»** (٤٥).

ولعل الجماعة بهذا المعنى هي ما تتضمن مفاهيم التعاون والتراحم والتكافل والتواصي، وكل المفاهيم التي لا تتحقق إلا بإجتماع الناس، وتكون ثمرتها النفع العام والخير والصلاح للجميع.

ثانيا: الجماعة بما يقابل الفرقة. وبهذا المعنى جاءت أحاديث كثيرة، منها: عن رسول الله(ﷺ) قال : **«الجماعة رحمة والفرقة عذاب»** (٤٦) وعنه(ﷺ) **«أيها الناس عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة»** (٤٧) و**«يد الله مع الجماعة فإذا اشتذ الشاذ منهم اختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة الشاذة من الغنم»**(٤٨).

والتأكيد على الجماعة هنا باعتبار أن الفرقة موجبة للنزاع والصدام والضعف والضرر العام.

ثالثا: إن مقياس الجماعة هو الحق وليس كثرة العدد. فقد سئل رسول الله(ﷺ) عن جماعة أمته: فقال: **«جماعة امتي أهل الحق وإن قلوا»** (٤٩). وفي حديث آخر قيل لرسول الله(ﷺ): ما جماعة أمتك؟ قال: **«من كان على الحق وإن كانوا عشرة»** (٥٠).

وسئل الإمام علي(ع) عن تفسير السنة والبدعة والجماعة والفرقة؟ فقال: «السنة والله سنة محمد(ﷺ) والبدعة ما فارقها، والجماعة والله جماعة الحق وإن قلّوا، والفرقة جماعة أهل الباطل وإن كثروا»(٥١).

والإسلام مقياسه في كل شيء عام أم خاص، مطلق أم مقيد، ثابت أم متغير، عقلي أم نقلي، دنيوي أم أخروي، فردي أم جماعي، إلى غير ذلك من التقسيمات، هو مقياس الحق بغض النظر عن القلة أو الكثرة.

والكثرة في المنظور الإسلامي ليست لها مشروعية من غير الحق. وهذا من أهم الفوارق الجوهرية بين الإسلام والديمقراطية، التي تعطي الحق للأكثرية في كل شيء

وبإطلاق عام. حتى لو استوجب الأمر في بعض الحالات مخالفة الفطرة الإنسانية، كحين يكون رأي الأكثرية في سلطة التشريع بالموافقة على زواج المثل، أي زواج الرجل من الرجل، والمرأة من المرأة، وبناء على هذه الموافقة يعطى لهذا النوع من الزواج، الذي يحمل صفة الأسرة القانونية المتمتعة بجميع الحقوق العائلية. وقد حصل هذا الأمر في بعض الدول الأوروبية كهولندا.

والذي ينبغي أن يضاف في هذا الجانب أن الإلتزام بالاكثرية كوسيلة تقنين في إطار الحق لا اشكال عليه، بشرط التراضي المسبق على ذلك.

ودعوة الإسلام وتأكيده على مفهوم الجماعة يدخل في إطار رؤيته ومفهومه للمجتمع الذي يريد منه أن يكون فيما يشبه الجماعة في توحده وتعاونه وتكافله وتراحمه، وأن يتعزز في المجتمع روح التعاون والعمل الجمعي، وكل ما يدخل ضمن مفهوم الجماعة.. والذي اعتقده أن رؤية الإسلام لمفهوم المجتمع إنما تؤسس لمفهوم المجتمع الأهلي الذي تتبلور ملامحه وانشطته وفاعلياته من قاعدة الشورى الذي يفترض فيها أن تحكم علاقات المجتمع في كل شؤونه العامة، ومن الشورى يتولد التعاون والعمل الجمعي والانشطة المشتركة، التي تتطلب وجود الأطر، إلى أن تتطور إلى نظام المؤسسات الأهلية والتعاونية في كل ما يحتاجه المجتمع من شروط ومتطلبات..

وكل ما نراه من الإسلام من تأكيد على الجماعة والتعاون والتراحم والتكافل هو الذي يوصل بالمجتمع في صورته المتحضرة إلى مجتمع المؤسسات الأهلية والتعاونية..

من هنا فإن المفهوم الذي يقدمه الإسلام عن المجتمع هو في حقيقته ما يصطلح عليه بالمجتمع الأهلي، أي المجتمع الذي يبلور نفسه وانشطته في أطر تعاونية ومؤسسات أهلية تقوم بواجب الصالح العام، والخدمة الإجتماعية العامة بما يحقق للمجتمع تعاونه وتراحمه وتكافله، وتقدمه وتحضره. وما نخلص إليه هو أن الجماعة في اللغة هي ما يصدق على طائفة من الناس من غير تخصيص لها أو تمييز أو إضافة. وفي علم النفس لوحظ في الجماعة علاقتها وتأثيرها على الفرد، وفي علم الإجتماع تدرس الجماعة من حيث تكوّنها وأقسامها وتأثيرها وتطورها..

وفي المنظور الإسلامي الجماعة حسنة في ذاتها إن كانت قائمة على الحق، وبما يقابل الفُرقة.

القسم الثاني

التركيب الجزئي للمفاهيم

أولا : بين الجامع والجامعة.

ثانيا : بين الجامع والجماعة.

ثالثا : بين الجامعة والجماعة.

بعد هذا التحليل للمفاهيم، ودراستها بشكل مفكك، باستقلالية كل مفهوم عن الاخر، ومحاولة استجلاء دلائل ومكونات كل مفهوم، ومجالات استعمالاته واستخداماته، نصل إلى خطوة التركيب، وسوف نبدأ بالتركيب الجزئي لهذه المفاهيم، وبعد ذلك بالتركيب الكلي.

في التركيب الجزئي سوف نبحث في علاقات هذه المفاهيم ثنائيا، وفي التركيب الكلي سوف ندرس التكامل المعرفي الكلي بين هذه المفاهيم، والنتائج العامة التي نتوصل إليها كمستخلصات لهذا البحث.

والقصد من وراء التركيب الجزئي في دراسة المفاهيم ثنائيا، هو السعي وراء اكتشاف ما بين هذه المفاهيم من دلالات وعلاقات ومكونات، تمهيدا للتشخيص التام في صياغة التكامل المعرفي.

وفي علم اللسانيات يستخدمون مصطلح حديث هو العلاقات الدلالية والذي يبحث عن العلاقات بين الكلمات. وقد تولد هذا المصطلح من دراسة الحقول الدلالية، إذ تبين أن معنى الكلمة لا يتضح إلا من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى ضمن الحقل الذي تنتمي إليه. ويلاحظ أن اللغويين القدامى ولا سيما العرب منهم تنبّهوا إلى أهم ما ينطوي تحت هذا المصطلح: كالترادف والأضداد والفروق والعموم والخصوص وغير ذلك.

كما أن أصحاب التحليل التجزيئي للمعنى ينطلقون من نظرية ترى أن معنى الكلمة هو مجموعة من العناصر التكوينية أو النويّات المعنوية أو المكونات الدلالية(٥٢).

ومجموعة العناصر هذه التي تختزلها الكلمة، كما يمكن اكتشافها عن طريق التحليل التجزيئي، يمكن ايضا التعرف على بعض ابعادها عن طريق العلاقات الدلالية والترابط بين الكلمات..

وفي التركيب الجزئي سوف نبحث:

أولا: العلاقات بين الجامع والجامعة.

ثانيا: العلاقة بين الجامع والجامعة.

ثالثا: العلاقة بين الجامعة والجماعة.

أولاً: الجامع والجامعة

الجامعة في اللغة هي مؤنث الجامع. ويشتركان من حيث إجتماع الناس فيهما، بين إجتماع لقصد العبادة، وهو الذي يتحقق في الجامع. وبين إجتماع لقصد العلم وهو الذي يتحقق في الجامعة.

وهذان المقصدان العبادة والعلم ليسا نوعين لا يجتمعان، فليس بينهما نسبة التباين، ولا علاقة الضدين، أو المتناقضين، في المنظور الإسلامي لا أقل .

والتأمل في هذين المقصدين هو أحد أوجهه هذه العلاقة التي هي بحاجة إلى بيان وتبيان.

ومن خلال منظور الإسلام للعلم تتكشف لنا جوهر العلاقة المفترضة بين الجامع الذي محوره العبادة وبين الجامعة ومحورها العلم.

ومن مكونات هذا المنظور الإسلامي للعلم:

أولاً: إن الإسلام قبل أن يشرع العبادة من صلاة او صوم او زكاة، او غيرها من عبادات او معاملات، سبق كل ذلك بتشريع للعلم، حين جعل أول آية نزلت من الوحي، وأول بلاغ في الايذان بالنبوة، آية «اقرأ». وكم هي حكمة بالغة، أن تكون هذه أول آية تنزل بأمر من الله سبحانه وتعالى إلى نبيه المصطفى(ﷺ) اعلانا بالنبوة والكتاب والدين الإسلامي الجديد. وكم نحن بحاجة إلى ان نتأمل في هذه الحكمة، والتي من دلائلها:

ألف: إن الإسلام يبني حركة الانسان في الحياة في كل أبعادها، العبادية والمعاملاتية، الخاصة والعامة، الفردية والاجتماعية، على قاعدة العلم، ويأمر الانسان أن يبدأ أولاً بالعلم «اقرأ».

باء: إن «اقرأ» تفيد الإستمرار في القراءة، وهذا يعني عدم التوقف عن طلب العلم. فالآية لم تأت بصيغة الماضي «قرأ» ولا بصيغة الإخبار «يقرأ» وإنما جاءت بصيغة الامر الذي يفيد الطلب والمباشرة والاستمرار على قاعدة الحديث الشريف المشهور «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» (٥٣) فطلب العلم ينبغي ان لايتوقف ولاينتهي، لأن العلم لايتوقف ولاينتهي.

جيم: ان الآية كانت فاتحة لتحول نوعي في حركة العلم بالانتقال به من حالة الشفهية إلى حالة الكتابية، لأن القراءة لا تصدق إلا على شيء مكتوب. والحالة التي كانت غالبة على المجتمع العربي قبل الإسلام كانت حالة الحفظ والمشافهة، ومع الإسلام تأكدت حالة الكتابة والتوثيق، وهذا يعني تحول المجتمع من مجتمع لا يقرأ ولا يكتب في أكثريته، إلى مجتمع متعلم يتقن القراءة والكتابة، ومن مجتمع المشافهة والحفظ، إلى مجتمع الكتابة والتوثيق.

وبهذا التحول يكتسب المجتمع الامانة العلمية والتوثيق وحفظ التراث والعلم وتراكمه وانتقاله، وكل هذه من موجبات الحضارة.

دال: لعل هناك قصدا في أن تكون أول آية من القرآن، على علاقة بتسمية هذا الكتاب العزيز بالقرآن فاسم القرآن مأخوذ من مصدر كلمة «قرأ» وهذا يفيد أن القرآن هو الكتاب الذي ينبغي ان لا يتوقف الإنسان عن قراءته. وهذه الطريقة في الاستمرارية في قراءة القرآن هي التي تساعد علي فهمه واتقانه وتبصره(٥٤).

هذه بعض دلائل هذه الآية، وهي تحتاج إلى مزيد من التأمل ويعمق..

ثانياً: إن الإسلام أعطى للعلم منزلة العبادة، وفضله عليها. والتفضيل هو على غير العبادة الواجبة. فعن رسول الله (ﷺ) قال: **«فضل العلم أحب إلى الله من فضل العبادة»**(٥٥)، وعنه (ﷺ) **«العلم أفضل العبادة»**(٥٦) و**«طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله»**(٥٧). **«قليل من العلم خير من كثير العبادة»**(٥٨).

والعلم الذي هو أفضل من العبادة هو الذي قال عنه (ﷺ): **«من خرج يطلب باباً من علم ليرد به باطلاً إلى حق أو ضلالة إلى هدى كان عمله ذلك كعبادة متعبد أربعين عاماً»**(٥٩).

ولأن العلم كما يقول الإمام علي(ع): سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم، به يطاع الرب، وبه توصل الأرحام، وبه يُعرف الحلال والحرام، والعلم إمام العمل ، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء»**(٦٠).

وهذه الأحاديث الشريفة تكشف عن حقائق هامة، جدير بنا ان نتوقف عندها:

ألف: من هذه الاحاديث وغيرها نلاحظ ان هناك مايشبه المبالغة المقصودة لمنزلة العلم في الإسلام. وهذه المبالغة تكشف لنا أننا بحاجة إلى ادراك واسع، وفهم عميق، ونظر بعيد في معرفة ابعاد وحقائق العلم في المنظور الإسلامي. ولا اعتقد اننا في حياتنا الإسلامية الراهنة نتعامل مع العلم بهذه الاهمية والمكانة التي هي عليها في المنظور الإسلامي. وما لم نرتق إلى هذه الحالة فإن انتقالنا من التخلف إلى الحضارة، سوف تفصلنا عنه مسافات طويلة وخطيرة.

باء: ان الإسلام يؤسس كل شيء في الحياة على قاعدة العلم لأنه بالعلم يستفيد الانسان من عقله وهو أعظم طاقة خلاقة ومبدعة، مودعة فيه، وبالعلم يكتشف هذا الانسان مافي داخله من طاقات وقدرات وكنوز لاتنضب، وهذا الذي يؤهله لتسخير الطبيعة وعمارة الكون وبناء الحضارة، والتغلب على مصاعب الحياة وكوارثها الطبيعية ومافيها من تحديات ومعضلات.

جيم: إن العبادة التي يريدها الإسلام هي العبادة التي يلازمها العلم، عبادة العالم لا عبادة الجاهل. العبادة التي يؤديها الانسان وهو على علم باحكامها وشروطها ومقتضياتها وبمقاصدها وغاياتها الدنيوية والاخروية، الفردية والإجتماعية.

والعبادات لها أثر كبير على حياة الانسان والمجتمع نفسيا وسلوكيا وإجتماعيا وعلى رؤيتهما للحياة والكون، وهذا الاثر ومعطياته ومكتسباته لايتحقق من غير العلم بمقاصد هذه العبادات والالتزام التام والصحيح بها.

وعن هذه الحقيقة يقول الامام علي (ع): «سكنوا في نفوسكم معرفة ماتعبدون حتى ينفعكم ما تحركون من الجوارح بعبادة من تعرفون»[٦١]، وعنه (ع): «لاخير في عبادة ليس فيها تفقه، ولاخير في عبادة لاعلم فيها»[٦٢].

دال: ان العبادة عمل وسلوك للذات، والعلم اكتساب يفيد به الانسان الناس والامة والعالم. وكل ما له النفع العام هو مقدم وله الافضلية في المنظور الإسلامي على كل ماله نفع خاص. وهذا من المقاييس العامة في المنظور الإسلامي وفي سلم اولوياته لقيم التفاضل.

ثالثا: لقد اعطى الإسلام من المكانة للعلم ماجعل به الانسان يرتفع درجات ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾[٦٣] وجعل منه مقياسا للتفاضل بين البشر ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾** ﴾[٦٤].

ولعل من الجزم القول إن التعظيم الذي اعطاه الإسلام للعلم لانجد له مثيلاً في ديانة، أو مذهب، او فلسفة قديمة، او حديثة، او معاصرة.

وهذا من أخطر المفارقات بين مايؤكد عليه الإسلام من مكانة عظيمة للعلم، وبين مانعيشه في واقعنا الإسلامي من تخلف شديد وشامل، التخلف الذي هو من اشد مايناقض العلم، ويقع ضدا له..

ومانقله لنا النص الإسلامي من قرآن وسنة حول العلم، يفسر لنا كيف استطاع المسلمون في عصرهم الأول أن يبنوا حضارتهم، وان ينالوا من الاعجاب ماهو كبير من كل الامم والحضارات، وكيف اصبحوا رواد العلم ينشرونه في الآفاق، وبين الأمم الباحثة عن العلم والتي أخذت عنهم.

هكذا هو حالنا بالامس وهكذا هو حالنا اليوم، اصبحنا أمة لاتقرأ، وتعطل عندنا العقل، وسبقنا الزمن، واصابنا الجهل والتخلف، الذي جعل منا امة ضعيفة مجزأة

تابعة لاحول ولاقوة لنا في هذا العالم الذي تحكمه موازين القوة، وآليات السيطرة، والمنطق النفعي الذي لايرحم..

وماجمعه لنا العلماء من مصنفات حول العلم من آيات وأحاديث وحكم، والذي يمكن ان نسميه بكتاب العلم، وهو الباب الأول في اكثر مصنفاتهم لكتب الحديث، كتاب العلم هذا فيه من الروائع والجمالية والحكمة حول العلم والعلماء ماهو رفيع يبعث على الاعجاب والانبهار، وبالتأكيد فاننا مع ما نعيشه من تخلف عميق يصعب علينا ان ندرك القيمة العالية لهذه النصوص، التي لو اطلعت عليها أمة متحضرة لانبهرت بها، ولتعجبت من أمة كيف لها ان تصاب بالتخلف وفي حوزتها هذ الثروة التي لا تقدر بثمن في المقاييس الحضارية، وهي لاتعرفها، أمة قطعت شوطاً كبيراً في البناء الحضاري..

ومانقوله هذا ليس إنشاءً او مبالغة او مغالاة، بل هو مايتوضح لكل من يطلع على هذه الثروة من النصوص وهذه القيمة العالية للعلم في الإسلام.

هذه بعض حقائق منظور الإسلام للعلم التي تكشف لنا عما بين الدين والعلم من علاقة وملازمة، وأن الجامع ليس بيتا للعبادة فحسب، بل هو للعلم ايضا، وإن كانت العبادة هي الأصل الأولي. وإن مكانة العلم في الجامع لاتقل عن مكانة العبادة، فليست مكانته ثانوية أو هامشية أو عرضية. وما يؤكد لنا هذه الحقيقة ويؤصلها لنا معرفيا وتجريبيا أن الجامع مع أول نشأته في الإسلام لم يكن مفصولا عن العلم، وإنما كان المكان الرئيسي للعلم، لأن الأنسان الذي يريده الإسلام هو الإنسان العالم، والمفترض إن كل عالم هو عابد، لأن أول العلم حسب المنظور الإسلامي معرفة الله، ولأنه بالعلم تتحقق من العبادة مقاصدها وفلسفتها وحكمتها التشريعية والاجتماعية.. من جهة أخرى إن الجامعات التي عرفها العالم الإسلامي وهي من أقدم الجامعات في العالم، إنما تأسست ونهضت وانطلقت من الجامع. كجامعة القرويين التي تأسست في جامع القرويين عام ٨٥٩م في مدينة فاس بالمغرب، وجامعة الزيتونة في جامع الزيتونة عام ٧٣٢م في تونس ، وجامعة الأزهر في جامع الازهر عام ٩٧٠م في القاهرة بمصر، وهكذا جامعات النجف وكربلاء في العراق وقم وأصفهان ومشهد في ايران.

وهذا يؤكد على أن العلاقة بين الجامع والجامعة ليست علاقة افتراضية، أو ان من غير الممكن أن تجتمع هذه العلاقة، بل هي العلاقة التي يكشف عنها الواقع التجريبي بأصالة العلاقة بين العلم والدين. ومن المعروف ان هذه الجامعات كما تذهب إلى ذلك الموسوعة العربية ، كان لها تأثير كبير فى نشأة الجامعات الاوربية حوالي القرن الثالث عشر الميلادي(٦٥).

وكان يدرس في هذه الجامعات إلى جانب العلوم الإسلامية والعربية علوم الفلك والهندسة والطب والصيدلة والجغرافيا والفلسفة وغيرها.

ويذهب الدكتور عدنان مصطفى إلى: إن بذرة الجامعة كمؤسسة حضارية لانتاج المعرفة التنموية المنظمة كانت على يد الذين بادروا بتنفيذ أمر الله جل وعلا بالتماس فضل العلم، الذي جاء في معظم سور كتابه الكريم ، وقوله جلت قدرته خاصة في سورة (طه) ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴿١١٤﴾ ﴾ [٦٦] وفي سورة (المجادلة) ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ [٦٧] وفي سورة (الزمر) ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [٦٨] واقتدوا بسنة نبيهم العربي الكريم محمد بن عبد الله(ﷺ) الذي قال: «من سلك طريقا يبتغي فيه علما ، سهل الله له طريقا إلى الجنة»[٦٩]، فمن حلقات الصحابة والائمة والصالحين والعلماء التي تنامت في المساجد وحلقات الذكر تكونت خلال فجر وضحى الإسلام مدارس العلم الشهيرة ، داخل الوطن العربي وخارجه، لتشكل جميعا عطاء مدرسة العلم .

هذا وقد اتسمت هذه المدارس «الجامعات العربية» بـ:

١/ سعيها لجمهرة المعرفة Popularisotion of Knowledge التي بدأت الجامعات في الدول المتقدمة بتحقيقها

٢/ صرامتها في الحفاظ على استقلالية كيانها والحفاظ على حرمتها ورعاية علمائها .

٣/ دقتها في انماء مقدرة طلابها العلمية .

٤/ تطويرها لأمر الحوارات العلمية «البحوث» لتصبح ذات انظمة علمية متعددة Multidisciplinary تبين أنها اليوم خير نهج يؤدي إلى بلوغ بحوث بالغة الأهمية للعلم ذاتة وللإنسان والبيئة من حوله.

٥/ تأكيدها على تداول المعرفة بين المدرب والمتدرب بأسلوب ديمقراطي يستند إلى الأخلاق الإسلامية السامية .

٦/ ادراكها العميق لمجريات النموين الإجتماعي والاقتصادي.

٧/ تفعلها فيما بينها رغم وحدة وأصالة الحوارات القائمة وقتئذ[٧٠].

وهذا لا يعني بالتأكيد أن الجامع هو المكان الوحيد للجامعة، بل ان من الممكن ان يكون هو المكان الأفضل، لما للجامع من حيوية إجتماعية، وتواصل مع الناس، وبيئة يفترض فيها أن تكون نظيفة، تساعد على خلق روابط إجتماعية متماسكة، مع استعداد الناس في العادة على دعم الجامع مالياً وبكل ما يحتاج إليه.

يضاف إلى ذلك ما للعبادة والدين من أثرمهم في إصلاح نية الإنسان في طلب العلم، وفي الاخلاص له والاجتهاد والمثابرة في طلبه، والصبر على تحمل مشاقه، والاتقان والانجاز للمهام والواجبات. هذه المزايا والسمات وغيرها تكسب الجامعة بعض الضروريات الأساسية كالحيوية الاجتماعية والتواصل والحضور مع المجتمع وغيرها من الضروريات المذكورة، ومن يشتغلون فى الحقل الجامعى يدركون مالهذه المزايا والسمات من اثر مهم على الجامعة وعلى المجتمع العلمي الذي ينتسب اليها.

والجامع بدوره بحاجة إلى العلم في بيئته، الحاجة التي تؤهله لأن ينهض بوظائف إنمائية في ميادين الإنماء الثقافي والعلمي والاجتماعي في المجتمع. وبهذه الوظائف يأخذ الجامع مكانته الحيوية والحضارية في الأمة، وهي التي افتقدها في عصرالتخلف..

واما ضرورة وجود الجامع فى الجامعة فلاشك أنها ضرورة لاقتران العلم بالدين، واعتبار أن الجامعة هي مكان للعبادة أيضاً، وما يمكن ان يستفاد من الجامع في التوجيه المعنوي والأخلاقي والاجتماعي للمجتمع الجامعي، وهي توفير البيئة الصالحة لهذا المجتمع..

ويمقدار مايكون للجامعة من رؤية وتخطيط للجامع يكون مقدار الاستفادة منه في الجامعة..

وما نخلص إلية أننا بحاجة إلى الجامعة في الجامع، والجامع في الجامعة وهذا لا يعني أن يصبح الجامع بديلاً عن الجامعة، أو الجامعة بديلة عن الجامع، وإنما ان يجتمع العلم والعبادة، أو العلم والدين في الجامع والجامعة وتتحقق القيمة العليا من تلازم العلم والدين وتلازم الدين والعلم..

ثانياً: الجامع والجماعة

بين الجامع والجماعة تداخل وثيق التداخل الذي يجعل من الجماعة أحد مكونات مفهوم الجامع، لأن الجامع كما سبق وأشرنا إنما سمى جامعاً لأنه يجمع الناس على نحو الإنشاء وفيه يجتمع الناس على نحو الإخبار.

إذا اعتبرنا أن المفاهيم الإسلامية هي مفاهيم تغييريه واصلاحية ، بمعنى أنها مفاهيم لها أصالة ولها مقصد. وبالتالي فهي لا تقبل المغالطة، او المهادنة او التلفيق وأي اضافة من هذه الحالات تعرض على المفاهيم الإسلامية فأنها تسلبها خاصية الأصالة. ولها مقاصد تتوخي الوصول اليها وتحققها على نحو الفعل والواقع. فالصلاة مثلا لها اصالة بالذات وهي العبادة المخصوصة التي نص على كيفيتها النص الديني، ولها مقاصد وهي إن تنهي عن الفحشاء والمنكر. والتمسك بتلك الأصالة هو الذي يحقق للمفاهيم مقاصدها.

أردنا بهذه الحقيقة أن نقول إن الأصل الأولي لمفهوم الجامع هو على نحو الانشاء، والثانوي على نحو الإخبار. بهذا الاعتبار، وباعتبار آخر فإن الجامع بلحاظ مفهوم المسجد يكون أصلاً ثانوياً. فإذا أخذنا الجامع بالأصل الأولي أي على نحو الإنشاء فهذا يعني أن يكون للجامع وظيفة المساهمة في تأسيس جامع بين الناس، بمعنى الرابطة. وبعبارة أخرى أن يشكل جماعة من الناس، الأمر الذى يتطلب تأهيل الجامع بما يعطيه القدرة على إنجازهذه الوظيفة ، التي لا ينفرد الجامع لوحده في النهوض بها، بل بالتعاضد مع المجتمع في فعالياته وأنشطته ومؤسساته.

والجامع لا يقتصر دوره في انجاز هذا العمل في داخله فحسب، أو في أو قات خاصة أو معدودة، وإنما الجامع في المنظور الإسلامى له حركية في حياة المجتمع تكسبة حيوية في كل شؤونه العامة، لأن الناس بحاجة الية في كل هذه الشؤون. كما أن وظائف الجامع لاتنفصل ولا تستقل عن وظائف المجتمع العامة وإنما تتكامل معها في إنجاز الأهداف والمقاصد العليا للأمّة. هذا مع احتفاظ الجامع بخصوصيات وظائفه والنصوص الإسلامية التي تحدثت عن أدب المسجد وفضائله والتأكيد على الحضور إليه، وعلى صلاة الجماعة التي لها مكانة خاصة، وعلى صلاة الجمعة وإحيائها، لو تأملنا في هذه النصوص لوجدنا أنها تتحرك لأجل مقصد هو إنشاء جماعة المؤمنين أو المجتمع الإيماني.

من هذه الأحاديث قول رسول الله(ﷺ): **«في التوراة مكتوب أن بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارنى في بيتي، ألا إن على المزور كرامة الزائر، ألا بشر المشائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة»**(٧١).

وعن أبي ذر «قلت: يارسول الله كيف تعمر مساجد الله؟ قال: لاترفع فيها الأصوات ولايخاض فيها بالباطل، ولايشتري فيها ولايباع، واترك اللغو مادمت فيها، فإن لم تفعل فلا تلومن يوم القيمة إلا نفسك »(٧٢).

وعنه (ﷺ): **«الجلوس في المسجد لانتظار الصلاة عبادة، مالم يحدث، قيل يارسول الله وما الحدث؟ قال: الاغتياب»**(٧٣).

وعن الإمام على (ع) قال: «لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد، إلا أن يكون له عذرا أو به علة، فقيل: ومن جارالمسجد يا أمير المؤمنين؟ قال: من سمع النداء»(٧٤).

هذه الأحاديث وأحاديث غيرها كثيرة إنما تؤكد المضامين والأبعاد الاجتماعية للمسجد، من قبيل لا يخاض فيه بالباطل، الأمر الذي تعدّه بعض الأحاديث على أنه من

عمارة المسجد، والمنع من الاغتياب فيه، وان من حسناته - أي المسجد - أخ مستفاد، واعتبار كل مسجد يفرق فيه بين المؤمنين هو مسجد ضرار.

وصلاة الجماعة لها دلائل هامة، فهي ترمز إلى حالة الاصطفاف الإجتماعي، والترابط والتعاون بين الناس، وأوسع من ذلك وأشمل ما ترمز إليه صلاة الجمعة التي ترمز إلى الصورة التي ينبغي أن يكون عليها المجتمع الإسلامي، فمن دلائلها انها ترمز إلى المجتمع الايماني المتوحد والمتضامن، وإلى العلاقة المفترضة بين القيادة والأمة، وان اصطفاف الناس في الصلاة يرمز إلى حالة الحضور التي يفترض أن تكون عليها الأمة، الحضور الذي يقابله الغياب، والذي يختزل الوعي والمسؤولية والفاعلية والمشاركة..

هذه الدلائل وما ترمز إليها هي التي ينبغي تحققها من هذه الصلاة - الجماعة والجمعة - وهي التي ينبغي أن تشكل خلفيات الوعي عند الناس في حضور هذه الصلاة وفي التعامل معها..

وهذه المنهجية التي ترتكز على المضامين الإجتماعية نستكشفها من تأكيد الإسلام على المقاصد الإجتماعية في الأحكام والاخلاق والمفاهيم وغيرها.. فالصلاة عبادة فردية واجب عيني على كل مسلم هو الذي سيحاسب عليها، لكنها في مقاصدها إجتماعية وهي ان تنهي عن الفحشاء والمنكر، ومقاصد الزكاه ان تحقق التكافل الإجتماعي، ومقاصد الصوم هو التراحم الإجتماعي، ومقصد الحج التعارف والتلاحم بين المسلمين، إلى جانب مقاصد أخري. وارسل الله الرسل ليقوم الناس بالقسط كما ورد في الآية الكريمة التي حملت الناس وليس الرسل مسؤولية القيام بالقسط وهذا يعني أن العدالة الإجتماعية هي مسؤولية الناس، هم المسؤولون عن تحققها، وعلى الحفاظ عليها واستمراريتها، وهم المعنيون عن مكاسبها ومنجزاتها. ومقاصد الجهاد حماية الناس من الأذى والظلم، وحفظ النظام العام من التعسف وحماية الإسلام والدعوة الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة إجتماعية.

وفي مجال الاخلاق التي يدعو الإسلام الإنسان أن يربي نفسة عليها، وهي صفات للذات، لكن مجالها وموضوعها من حيث التحقق هو المجتمع، كالحلم والتواضع والجود والكرم والسخاء والتراحم وغيرها من الصفات الحميدة.

وعن هذه المنهجية يقول السيد «محمد باقر الصدر» [١٣٥٢ -١٤٠٠هـ/١٩٣٥-١٩٨٠]: «ان الفهم الإجتماعي للنص معناه فهم النص على ضوء ارتكاز عام يشترك فية الأفراد نتيجة لخبرة عامة وذوق موحد، وهو لذلك يختلف عن الفهم اللفظي واللغوي للنص الذي يعني تحديد الدلالات الوضعية والسياقية للكلام....

ويأتي دور الفهم الإجتماعي للنص حين ينتهي دور الفهم اللفظي واللغوي له. فان الفقيه في الدرجة الأولي يحدد المعطي اللغوي واللفظي للنص، ثم بعد ان يعرف معني اللفظ يسلط علية الارتكازالاجتماعي، ويدرس المعني بالذهنية الاجتماعية المشتركة [مناسبات الحكم والموضوع] فيظهر له من النص أشياء جديدة، لم تكن تبدو على مستوى الدرجة الأولى في حدود الفهم اللغوي للفظه.

اما المبرر للاعتماد على الارتكاز الإجتماعي في فهم النص فهو نفس مبدأ حجية الظهور لأن هذا الارتكاز يكسب النص ظهوراً في المعنى الذي يتفق معه، وهذا الظهور حجة لدي العقلاء كالظهور اللغوي لأن المتكلم بوصفه فرداً لغوياً يفهم كلامه فهماً لغوياً ، وبوصفه فرداً إجتماعياً يفهم كلامه فهماً إجتماعياً. وقد أمضى الشارع هذه الطريقة في الفهم. وتظل هناك اسئلة يجب ان تدرس في مجال أوسع ، من قبيل ما هو مدى العمومية التي يجب توفرها في الارتكاز ومناسبات الحكم والموضوع لكي تكتسب هذه المناسبات القدرة على التحكيم في فهم النص، وكيف نستفيد من الارتكاز الإجتماعي مع أن الارتكاز ليس ثابتاً بل هو مختلف تبعاً للظروف الفكرية والاجتماعية»(٧٥).

وعن المقاصد الاجتماعية للتشريع الإسلامي يقول الدكتور(يوسف القرضاوي): «إنه قد يفهم من كلام الاصوليين حول المقاصد والمصالح أن انتباههم موجه بصورة أكبر إلى الإنسان الفرد، ولم يلتفت بقدر كاف إلى المجتمع والأمة أو ربما كان عذرهم في ذلك أن المجتمعات إنما تتكون من أفراد، فإذا صلح الأفراد صلحت المجتمعات. وإنما يصلح الافراد إذا حافظنا على مقومات حياتهم الدينية والدنيوية، المعنوية والمادية. ومهما يكن لهم من عذر، فلابد أن نؤكد أن الشريعة الإسلامية تهتم بالمجتمع ، كما تهتم بالفرد وهي تقيم توازناً بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية في غير طغيان ولا خسارة. فلا نقر الفلسفة الفردية المغالية التي تقوم عليها الرأسمالية، ولا الفلسفة الجماعية التي تقوم عليها الماركسية، كما أن الشريعة هنا تعني ابلغ العناية باقامة أمة مسلمة لها شخصيتها المستقلة وكيانها المتميز، ورسالتها الحضارية، ودورها في هداية العالم وتسديد خطاه.

ومن المؤكد أن الشريعة الإسلامية تقيم اعتبار للقيم الإجتماعية العليا، وتعتبرها من مقاصدها الأساسية، كما دلت على ذلك النصوص المتواترة والأحكام المتكاثرة ومن هذه القيم: العدل أو القسط، والاخاء، والتكافل، والحرية، والكرامة»(٧٦).

يضاف إلى هذه المقاصد وحدة الأمة، وهي من القيم العليا ومن المصالح العامة، التي يجب الحفاظ عليها، وعدم تفويتها لأي سبب، وتحت أي ظرف، وفي كل وقت وزمان.

والجامع الذي يفترض فيه أن ينشيءجامعاً بين الناس لا يجوز أن يتحول إلى مكان للتفريق بين الناس وهو الذي وصفه القرآن الكريم بمسجد ضرار، وبهذا الوصف فتح القرآن الكريم امكانية هذا الإحتمال في أن يصبح واقعاً، لأن من الصعب أن نتصور أن المسجد يتحول إلى بيئة للفرقة والخلاف والنزاع، والمسجد إنما يكون جامعاً حينما يتحقق فيه قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴿١٨﴾ ﴾[77] لا أن تتحول المساجد إلى الدعوة لاشخاص أو فئات، أو عائلات، أو جماعات، أو حكومات فلا يصدق عليها حينئذ إنها بيوت الله في الأرض. وتفقد قيمتها الروحية والمعنوية، ومقاصدها العبادية والإجتماعية..

ثالثاً: الجامعة والجماعة

العلاقة بين الجامعة والجماعة بينهما نسبة العموم والخصوص المطلق، أي أن كل جامعة تحتوي على جماعة، وليس في كل جماعة بالضرورة جامعة. وهذا يعني أن الجامعة تختزل في بنيتها الجماعة، ولا نعني بالجماعة هنا عموم المجتمع، وإنما قطاعاً كبيراً منه، وهو القطاع النوعي من المجتمع. ويطلق على هذا القطاع في أوساط التعليم العالي، المجتمع الجامعي، أو العلمي، أو الاكاديمي، لكثرته العددية، وأهميته النوعية..

والجامعة هي التي تنشئ هذا المجتمع أو الجماعة، وتجعل بين أفراده جامعاً وهو العلم، كسباً واشتغالاً أو عطاءاً.

ومع التغير المستمر في هذه الجماعة الأكاديمية، بين من يتخرج منها، وبين من ينضم إليها، الشيء الذي يجعل من الجامعة تستوعب أجيالاً كثيرة ومتلاحقة من المجتمع الكبير، مما يضيف إليها القدرة على أن تنشئ جامعاً بين الناس مداره قاعدة العلم.

فالجامعة تنشئ جماعة على النحو العلمي وبالقدرات العلمية، والجماعة تنشئ جامعة على النحو المادي وبالقدرات المادية، وبينهما تأثير متبادل يعبر عنه الدكتور (عبد الرحمٰن عيسوي) بقوله: «الجامعة مؤسسة إجتماعية تؤثر وتتأثر بالجو الإجتماعي المحيط بها، فهي من صنع المجتمع من ناحية، ومن ناحية أخرى هي أداته في صنع قياداته الفنية والمهنية والسياسية والفكرية»[78].

والجامعات في أول تأسيسها في الأزمنة القديمة كانت في الغالب أهلية ودينية، تأتيها الأموال اللازمة من الأوقاف الدينية والتبرعات، وحينما شعرت الدول بخطورتها في إعداد قادة الفكر وتوجيه الرأي العام، قامت تتولى تأسيسها بنفسها، أو تقدم إلى الأهلية منها المساعدات المالية مقابل الاشراف عليها[79].

وهذا يفيد أن المجتمع الأهلي هو الذي نهض بتأسيس الجامعات، وأنها جاءت لتلبية حاجاته ومتطلباته من النمو والتقدم، وهذا يفترض أن العلاقة بينهما – بين المجتمع والجامعة – وثيقة الصلة والارتباط، وكما كانت الجامعة من تأسيس المجتمع الأهلي أصبحت العلاقة كما يفترض شديدة التداخل والتفاعل. وهذه ليست قاعدة ثابتة وإنما فيها رجحان قوي. لأنا وجدنا بعض الجامعات الأهلية الحديثة والمعاصرة تغلب عليها الصفة التجارية، أي انها مشروعات للاستثمار المالي الذي يتوخي الربح المادي في الدرجة الأولى ، هذا ما اثير حول بعض الجامعات الأهلية في بعض الدول العربية. وإلى فترة من الزمن والحوار يدور حول شكل العلاقة المفترضة بين الجامعة والجماعة البشرية أو المجتمع، ولقد ظلت هذه القضية مورد جدل واسع في الأوساط العلمية والأكاديمية، بين من يفكك هذه العلاقة بعزل الجامعة عن المجتمع ولا يربطها بأي وظيفة إجتماعية، أساسية كانت أو ثانوية، ومبررات هذه النظرة تنطلق من رؤية خاصة لفلسفة العلم والتعليم العالي وأولوياته، ووظائفه الأساسية، وبين من يعطي هذه العلاقة ترابطاً لا ينفك انطلاقاً من فهم يختلف لتلك الرؤية والمبررات التي تؤسس للنظرة السابقة.

ولقد شاع في الغرب وصف البعض للجامعة بأنها «برج عاجي» انطلاقا من نظرة تراها كياناً مستقلاً منعزلاً يضم الدارسين والاساتذة ويعزلهم عما يدور في العالم الخارجي من احداث ومنازعات، ليتفرغوا للعلم ويقوموا بدورهم. وترى هذه النظرة إن دور الجامعة هو الحفاظ على التراث الحضاري ونقله من جيل لأخر، ومحاولة التوصل إلى الحقيقة من خلال العمل الدراسي الهادف الذي يدرس القيم الثابتة، وتنمية المهارات النقدية، وأساليب التفكير والتحليل. وهكذا فإن الجامعة وفقاً لهذه النظرة هي حرم مقدس تقوم بينه وبين المجتمع الخارجي حدود واضحة تحميه مما قد يخل بدور الجامعة»(٨٠).

وهذا الفهم للجامعة الذي يجعل منها قلعة محصنة عن المجتمع، والذي كان سائداً في الغرب إلى ما قبل القرن الأخير، أخذ بالتراجع للنقد الشديد الذي تعرض له، «كان لمجموع التطورات التي حدثت على صعيد الثورة الصناعية – منذ القرن الماضي – أثرها في تكوين نظرة أخرى للجامعة، تراها كمحطة للخدمات الإجتماعية، وقد شاع هذا الوصف بعد أن جرى استخدامه في مطلع هذا القرن في معرض الاستخفاف بما جملته هذه النظرة من تغير. ويرى اصحاب هذه النظرة إن الحدود القائمة بين الجامعة والمجتمع مليئة بالمنافذ التي تتسرب من خلالها المعرفة وتمتد، بفعل استجابة الجامعة للمطالب المتزايدة التي تأتيها من المجتمع»(٨١). ولحيوية هذه العلاقة ورسوخ هذه

النظرة، جعل من التصور الذي يرى الجامعة كبرج عاجي وكدير، أو معتزل علمي يعتبر أمراً كريهاً(٨٢).

ومع تطور هذه النظرة، وتزايد الاقتناع بها، من غير فرق بين المجتمعات المتقدمة أو المجتمعات المتخلفة، وإن كان الوعي بهذه القضية عند المجتمعات المتقدمة أكبر وأوسع أفقاً منها عند غيرها من المجتمعات الأقل تقدماً، ومع تأكد الحاجة لدورالجامعة في نهضة المجتمع وتقدمه علمياً، أضيف إلى مجموع وظائف الجامعة الأساسية والثابتة، وظيفة أصطلح عليها «خدمة المجتمع» أو «الخدمة الإجتماعية» أو «الخدمة العامة» أو «خدمة المجتمع العامة» وكلها بمعنى واحد.

فتحددت الوظائف الرئيسية للجامعة، و«نالت موافقة إجتماعية من المتخصصين في مجال التعليم العالي وهي: «التعليم، والأبحاث، وخدمة المجتمع. وقد توصلت «ابيفانار. رسبوسو» – Epifanar. Resposo. بعد استعراض ما كتب من المؤلفات التي قصد منها تعريف المهام الرئيسية للجامعة، إلى القول: يبدو جليا أن هناك اتفاقاً اجماعياً – سواء كان ظاهرياً أم ضمنياً – حول طبيعة الجامعة، بأنها تمثل مجتمعاً علمياً يهتم بالبحث عن الحقيقة، وأن وظائفها الأساسية تتمثل في الوظائف الثلاث التي تؤديها الجامعة، ومن هذه الوظيفة يتم انفتاح الجامعة على المجتمع الذي تنتمي إليه، ومن خلالها يتم التفاعل بينها وبينه»(٨٣).

ويجزم الدكتور «احمد صدقي الدجاني» إن هناك إجماعاً في عالمنا على أن تلتزم الجامعة بأداء الخدمة العامة لتنمية المجتمع، فهذا أمر لم يعد فيه أي مجال للشك، ولكن المشكلة اليوم كما يقول «هندرسون» هي تحديد تلك الاساليب التي تناسب الجامعة وهي تؤدي هذه الخدمة. فما هي الأساليب الأنسب؟ وكيف نوفق بينها مع الحفاظ على استقلال الجامعة وحريتها(٨٤).

وعن الأنشطة والمجالات التي تقع ضمن نطاق خدمة المجتمع العامة، هناك من يحددها بأنشطة من نوع: برامج تعليم الكبار، والتعليم والمستمر، وتقديم المشورة إلى الحكومة وفئات المجتمع، وتقديم النقد الفني في كل ما يتعلق بالقضايا الإجتماعية والاقتصادية والسياسية(٨٥).

وهناك من يضيف إلى هذه الأنشطة القيام بالابحاث التطبيقية، والقاء المحاضرات الخارجية وما شاكل ذلك(٨٦).

وتذهب السيدة «باتريشيا كروسون» التي درست موضوع الخدمة العامة في التعليم العالي الأمريكي ، إلى أن تعريف الخدمة العامة: تعني كل ما ليس من امورالتعليم

والبحث العلمي، وله علاقة بالجماعات الخارجية يصلح نقطة بداية، لأن افضل أشكال الخدمة العامة هي تلك التي تشبه أعمال التعليم والبحث العلمى، كاسداء النصيحة، وتوفير المعلومات، والمعونة الفنية بشأن المشكلات ، واجراء البحوث التي تستهدف ايجاد حلول لهذا المشكلات ، وعقد مؤتمرات وندوات ولقاءات وبرامج تدريب قصيرة الأجل لموظفي الحكومة والعاملين بالخدمات الاجتماعية ومختلف الهيئات الفنية ورجال الأعمال(٨٧).

وما يستوقف الانتباه هو مقدار التناسب بين هذا التأكيد والتنظير الذي يحمل الجامعة دوراً مهماً في حركة المجتمع، وبين الواقع التجريبي ومدى الالتزام الواقعي بهذا الدور؟ فإن ما يفصح عنه الواقع لا يتوافق والمنظور السابق، وبالذات في العالم العربي، الذي يكشف لنا عن اشكالية حادة في القطيعة وحجمها ومسافتها وعمقها، وكأن الرؤية التي نؤمن بها هي التي لا تعطي الجامعة هامشاً من الفعل الإجتماعي ، وهذا على خلاف ما هو موجود في الأدبيات الجامعية والاكاديمية.

وحصرنا الحالة بالعالم العربي لشدة وضوحها وتأزمها اللافت للنظر في هذا المجال وأمامنا من التجارب الإنسانية الحديثة ما هو على درجة عالية من الافادة، نأخذ تجربتين الأولى من ألمانيا والثانية من كندا.. من المانيا نكتشف كيف استطاع هذا البلد أن ينهض بنفسه خلال فترة قياسية، بحسابات قياسات النمو الحضارى، وبهذا المستوى العالي من التطور، الذي جعل من ألمانيا دولة قيادية في أوربا، وإن ينظر إليها العالم بنوع من الرهبة، بعد ان اصبحت واحدة من الدول الأكثر تفوقاً في العالم، وهي التي خرجت من حرب كونية قاسية بشكل لا يوصف، حيث كانت في وضع مدمّر كله انقاض «فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وفي مرحلة اعادة البناء واعداد مشاريع النهوض الاقتصادي، حسنت الجامعة في المانيا اداءها، وربطت حركة نموها الذاتي بالحالة العالمة وجددت آليات تفكيرها وعملها واحتضنت مئات الآلاف من الشبان الذين صعقتهم الحرب، أو دمرتهم، أو اعطبت نفوسهم وعقولهم.. فأعادت اليهم ارادة البقاء واعدتهم للعمل والانتاج وغذت فيهم الاتجاه العام بأنهم أبناء شعب قادر على الانتصار ونجحت في اعادة الثقة في المستقبل.. وطبقت ما بات يعرف في علم المناهج الجامعية «المناهج المفتوحة على الحياة» وتحديداً على اهتمامات المجتمع وهمومه وقوى الانتاج فيه، واتخذت من المصانع والمؤسسات والادارات العامة والخاصة حقولا لأعمالها التدريبية والتطبيقية ولاختبار نتائج بحوثها ودراساتها.

الجامعة المفتوحة على المجتمع وقواه الانتاجية وقضاياه الحياتية، ومآزقه الفكرية والسياسية والأخلاقية، تجربة ألمانية رائدة أعطت للجامعة الأوربية ومن ثم الامريكية دورها خارج القواعد الجامعية التقليدية. وسوغت لها مشروعية الحصول على الموازنات المالية الضخمة التي يشترك في توفيرها القطاع الخاص - الشركات الاستثمارية والصناعية الكبرى- والدولة، وسادت لدى الجميع فكرة «التعليم للانتاج» وسقطت فكرة «التعليم للتعليم».. فالتعليم العالي في المانيا موظف ومستثمر في خدمة المصالح العليا للدولة والمصالح المباشرة للمجتمع.. وهما يتنافسان لاحتضان الجامعة وتعزيز اوضاعها وتطوير امكاناتها.. هذا، وليس للسلطة أن تتدخل في شؤون العمل الجامعي.. فالجامعة مستقلة ادارياً ومالياً واكاديمياً، استقلالاً تاماً قاعدته احترام الحريات الفكرية»(٨٨).

وأما في كندا فيتحدث عنها الدكتور «جورج دورليان» الذي كان في مهمة أكاديمية هناك وامضى فيها عدة شهور فيقول عنها: «ليست الجامعات في كندا حصوناً عاجية تفصلها عن المجتمع المدني مسافات وحقول وعقول فهي حتى من حيث موقعها الهندسي تقع على تقاطع الطرق الكبرى للمدينة لا تفصلها عنها أبواب حديدية أو خشبية، أو اسوار عالية، بل مجرد اشارات تدل المشاة والسيارات انهم في أراضي الجامعة، فجامعة «ماكغيل» التي تقع في وسط مدينة مونتريال، هي على مرمى نظر الذين يقصدون الوسط التجاري للعمل أو للوظيفة أو للتبضع. ذلك بالنسبة إلى جامعة مونتريال أو جامعة كيبيك. أماجامعة «لافال» فتقوم بصروحها الخمسة والعشرين على امتداد أراضٍ واسعة في وسط منطقة «سانتغوا» القريبة من مراكز الشراء الكبرى ومحطة الأتوبيس المتوجهة باصاتها إلى كل أنحاء كندا، ومحطة السكك الحديدية والفنادق، هي أيضاً لا يفصلها عن المدينة سور أو باب، اذ تخترقها طرقات المدينة من كل صوب. فالجامعة أينما ذهبت في كندا، تغدو مدينة ضمن مدينة.

ليست العمارة وحدها متداخلة مع المدينة ، بل ان الجامعة مركزٌ ايضا لنشاط ذي طابع اقتصادي فمجمعات جامعة «لافال» تتحول في مواسم مختلفة إلى معارض للمنتوجات الصناعية وللسيارات والابتكارات التكنولوجيا المعلوماتية.. الخ بهذا يخلق تكامل ثقافي - اقتصادي - هندسي - يجعل من الجامعة جزءاً من المدينة وامتداداً لها، أو حتى قلبها النابض. فالجامعة إلى ذلك مركز لنشاط ثقافي - إجتماعي لا يؤمه فقط الطلاب والعلماء والبحاثة بل ايضا ناس من كل فئات المجتمع ممن تستهويهم الأنشطة التي تقوم بها الجامعة، وهي مفتوحة على الجميع، مكتباتها ومقرراتها تحت تصرف كل من يشعر بحاجة إلى مزيد من التعرف على تطورات اختصاص من الإختصاصات..

بهذه السياسة تمكنت الجامعة من أن تتحول إلى حاجة ماسة للمجتمع، فيطلب منها القيام بابحاث وتحضير مشاريع وتنفيذها في مجالات انتاجية مختلفة تفيد المجتمع، وتتغذى من الواردات التي تدرها هذه الأعمال لتطوير بناها وأبنيتها وبرامجها»[٨٩].

إذا كان هذا هو حال بعض الجامعات في الغرب فماذا نقول عن حال جامعاتنا في العالم العربي والإسلامي؟! والطرح الذي يضيف خدمة المجتمع إلى مجموع الوظائف الأساسية للجامعة والتعليم العالي، فإنه يتفق مع المنظور الإسلامي للعلم، وللرؤية الإسلامية العامة التي لا تعزل أي شيء عن خدمة المجتمع فهو من مقاصدها العليا، وإليه تتوجه مصالح التشريع الإسلامي العامة، بالارتكاز على قاعدة المسؤلية، والتسخير الذي قال عنه القرآن الكريم **﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾**[٩٠] والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبناء المجتمع الإيماني، والإنماء الحضاري الشامل، والعمران الإنساني.

فالإسلام بقدر ما أكد على طلب العلم، أكد -ايضاً - على نشره، خدمة للمجتمع، وتشدّد في ذمّ كاتم العلم ولم يجوز احتباسه إلا في حالات توقف عليها الضرر المتيقن..

ففي الحديث الشريف عن رسول الله(ﷺ) قال: **«من الصدقة أن يتعلم الرجل العلم ويُعلّمه للناس»**[٩١]. وفي حديث آخر عنه(ﷺ): **«افضل الصدقة أن يعلم المرء علماً ثم يعلمه أخاه»**[٩٢] و**«زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه»**[٩٣] **«ما تصدق الناس بصدقة أفضل من علم ينشر»**[٩٤].

وعن كاتم العلم يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾**[٩٥].

وفي قوله تعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾**[٩٦].

وعن رسول الله (ﷺ) قال: **«من كتم علماً نافعاً عنده ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»**[٩٧].

والحقائق التي نستجليها من هذه النصوص الإسلامية:

أولاً: إن العلم ليس كسباً ذاتياً للنفع الخاص، بل إنه مسؤولية، وفي مقدمة هذه المسؤولية نشره والتبليغ به للنفع العام. وكل المسؤوليات في الإسلام إنما يؤسسها على العلم، فمتى ما علم الإنسان في أي موضوع أو مجال أصبح مسؤولاً عنه وعليه..

ثانياً: إن العلم ليس ملكاً لأحد من الناس بعينه. أو لأمّة خاصة بعينها، بل هو لكل الناس والإنسانية جمعاء، ولكل الأجيال، في كل مكان وزمان.. فلا يجوز لإنسان إن يتملكه أو لأمّة أن تتملكه في أي مجال من مجالاته وميادينه، وكان يفترض ألا يكون في العلم أسرار أو حظر أو منع، يؤثر على نشره وإنتشاره، لولا ما يلازم بعض جوانب العلم من الضرورات التي تدخل تحت عناوين الأمن العلمي.. وهذا الرأي لا يعني إسقاط حق الملكية الفكرية، وعدم الاعتراف بها، بل لابد أن يكون مشروطاً بحمايتها.

ثالثاً: إن هذا يصدق على جنس العلم وكل ما يدخل تحت عنوانه، فالاحاديث الشريفة تستعمل العلم بعنوانه المطلق، من غير تقييد له أو تخصيص، أو تفريع. وهذا يعني أن كل انواع العلم واقسامه وتفريعاته لها حق الشياع بنشرها وعدم جواز حبسها وتملكها. لأن الإنسان والأمّة بحاجة إلى كل أنواع العلم ومجالاته في سعيها نحو الإنماء والعمران والتقدم الشامل..

رابعاً: أن اشد أنواع العلم تأكيداً على نشره، وذماً على كتمانه هو علم الدين، الذي أشارت إليه الآيات القرآنية الكريمة لأنه العلم الذي يحرز به طاعة الله سبحانه وتعالى، ويضمن الالتزام السليم بأحكامه، والبصيرة في مقاصده. ولأنه العلم الذي وجب تعلمه على كل مسلم ومسلمة.

خامساً: إن الإسلام بهذا التأكيد والالزام إنما يريد أن يقضي على كل مظاهر الجهل والأمية والتخلف، لأن الجهل مصدر كل شر، ويعطل أثمن شيء أودعه الله سبحانه وتعالى في الإنسان وهو العقل. والعلم هو مصباح العقل، وبالمصباح يستفيد الإنسان من عقله في ظلمات الجهل والتخلف. وهذا يفيد أن الإسلام لا يقبل من الإنسان المسلم الجهل والأمية والتخلف بكل الاشكال.

سادساً: أن التثقيف والتوعية والتبليغ، هي مسؤوليات يشترك فيها كل انسان اكتسب علماً فيه نفع للناس. وهذا يعني ان يتبادل أفراد المجتمع فيما بينهم العلوم والمعارف والمعلومات، ومع غيرهم من المجتمعات الإنسانية. وهذه السمة من أرقى السمات الحضارية في أي مجتمع إنساني.

وفي تاريخ المسلمين نجد أن العلماء قد اتخذوا من المسجد مكاناً لهم، وهو الأكثر حيوية للالتقاء بالناس وتبليغ ما عندهم من علم، وان يتاح للناس السؤال والحوار والمناظرة مع العلماء. لأن المساجد مفتوحة لكل الناس، وهو المكان الذي اعتاد الناس على الإجتماع فيه لغير أمور البيع والشراء. كما أن بيوت العلماء هي الأخرى كانت مفتوحة للناس في أي وقت، للسؤال وطلب الحاجة من العلم، من غير حرج أو خوف أو

رهبة، ومما يشجعهم على ذلك تواضع العلماء واحترامهم للناس، والتواصل معهم، من غير حواجز أو موانع وتشجيع الناس على السؤال وطلب العلم، وتأكيدهم على آية السؤال والرجوع إلى العلماء، وهي قوله تعالى: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٤٣﴾ ﴾(٩٨).

وهكذا كان حال الجامعات الإسلامية في عصور ازدهارها، حيث كانت على تواصل حيوي كبير مع المجتمع والأمّة ومفتوحة للناس وبامكان أي طالب أن ينضم إلى أية حلقة من حلقات الدرس، وأن يتفق مع أي عالم أو استاذ على أن يدرس عنده، وكانت الأمور تجري بسهولة ويسر من غير مصاعب وعراقيل مالية، أو ادارية، أو نفسية..

ومما ساعد على هذه الحالة هو ما كان للجامعات والمساجد من تداخل حين اتخذت هذه الجامعات من المساجد امكنة لها للتعليم والدرس والبحث، الوضع الذي جعلها تصبح مفتوحة لكل الناس في تواصلهم والتقائهم بالعلماء وبنظم التعليم وحلقاته. كما هيأ للعلماء جسور العلاقة بالناس والتعرف على قضاياهم وشؤونهم العامة، واحتياجاتهم الدينية والعلمية والثقافية، ووفر لهم القدرة على التأثير عليهم وتوجيههم، والتعاون معهم فيما يخدم الواجب العام.

ولهذا كان للمساجد والجامعات في ظل الحضارة الإسلامية دوراً مهماً في نشر العلم والحضارة.. من هذه الحقائق يتبين لنا عمق المنظور الحضاري للمدرسة الإسلامية التي جعلت من العلم نفعاً عاماً، مع هذا التأكيد الشديد على العلم كسباً وتبليغاً وعطاءاً، وكأن الإسلام يريد أن يؤسس المجتمع الإسلامي على صبغة العلم في كل شأن من شؤونه، بحيث يأخذ الناس بالعلم في علاقاتهم ومعاملاتهم ومواقفهم وفي كل امورهم، ولا يأخذون بالظن الذي لا يغني من الحق شيئاً، وان يتبينوا في الأمور التي لم تثبت لهم حتي لا يأخذوا الناس بجهالة فيصبحوا من النادمين، وان يحكموا عقولهم، ويجعلوا من البرهان طريقاً لهم، ومن المنطق تسديداً لأفكارهم ومواقفهم.. فلا مكان في المجتمع الإسلامي العلمي للظنون والتسرع في الأحكام وللشائعات والاتهام، وكل ما هو نقيض للعلم .

وهكذا في مجال العلماء والابداع والانتاج والبحث العلمي بحيث لا يكون هناك مكان للتقليد والتبعية والإتكال على الغير.

لأن المجتمع الإسلامي كما يفترض فيه وكما يريده الإسلام هو مجتمع العلماء والخبراء والكفاءات وأصحاب المهن والطاقات العالية والمتجددة.

القسم الثالث

التكامل المعرفي الكلي

- مدخــــل
- التكامل الوظيفي .
- التكامل على مستوى التأسيس .
- التكامل المعرفي .

مدخل :

يفترض بعد القسمين الأول والثاني، من تحليل المفاهيم، والتكامل الجزئي بينهما، أن أبعاد العلاقة قد تبلورت، وان امكانية التكامل المعرفي قد نضجت، وتحددت أولوياتها وأساسياتها، وأصبح من الممكن أن نجري عملية البحث بعد تماسك وحدته الموضوعيه.

فما هي العلاقة التي يمكن ان نتصورها ونستخلصها من الترابط التكاملي لهذه المفاهيم؟

قبل البحث فيما هو المفترض لابد أن نبدأ من الواقع، من أجل أن يتشخص لنا الموضوع الخارجي، ونتعرف على نوع الاشكاليات المعرفية، وحجم المشكلات الموضوعية، ونستحضرها . كمعطيات حيوية نستعين بها على بلورة وتأسيس مايمكن تأسيسه من التكامل المعرفي . خصوصاً وأن الواقع قد يكشف لنا كيف ولماذا تفككت الروابط بين هذه الأبعاد والمفاهيم التي اجتمعت وتكاملت فى ظل الحضارة الإسلامية. والتى لاتتكامل على مايبدو الا مع حالة حضارية تبعث على الاحياء والإنماء والتقدم. وما تفككت هذه الروابط وفقدت أبعادها الحضارية الا مع التخلف الذى أصاب الأمة فى عمقها فى الوجدان والعقل والروح وفكك فيها كل شيء، وجعلها مجزأة، وأصبحنا لاننظر إلى الأمور إلا بشكل متجزئ، وقد يصعب علينا أن ندرس الأمور بمنهجية التكامل وبطريقة العلاقات المترابطة، بعد أن فقد كل شيء محتواه، أو إننا أصبحنا لاننظر إلى الأمور فى محتواها، بل نقف عند حدود الشكل والظاهر.. لأنه مع التخلف تعطلت الطاقات، وجمدت العقول، وتوقف العطاء العلمى، والإبداع المهني والفني، على مستوى الامة.. وهذه هي خطورة التخلف الذي يتمدد فيصيب كل الجسم، ويصل إلى أكبر مساحة، ولايتوقف عند حد معين .

فكيف اذا مضى على هذا التخلف قرون من الزمان، كما هو حالنا في العالم الإسلامي الذي استشرى فيه التخلف حتى وصل إلى البنية التحتية التي تشكل مصدر العمق والقوة والتوحد والتماسك، كنظم التعليم، ومؤسسة الأسرة، والروابط الأهلية والإجتماعية وغيرها.

وما نلحظه أن هناك أزمة اصابت هذه المفاهيم (الجامع والجامعة والجماعة) أفقدتها تماسكها وعناصر فاعليتها الحيوية، وتشكل بنيتها النظامية على صورة مؤسسات فاعلة. وهذا مانريد التعرف عليه، قبل أن نشرع في دراسة التكامل المعرفي بين هذه المفاهيم.

أولاً: مشكلة الجامع

لانحتاج إلى عناء الاستدلال اذا قلنا ان الجامع في مجتمعاتنا الإسلامية الراهنة قد فقد الكثير من عناصر قوته التي كانت تكسبه مكانة محورية في حياة المجتمع ووظائفه العامة. وقد تحجم كثيراً في ميادين أنشطته وفعالياته.

ومن جوانب المشكلة التي يعاني منها الجامع في واقعنا الإسلامي، انه فقد دوره العلمي وهو من أهم الأدوار الحيوية التي كان ينهض بها الجامع في حضارة الإسلام، وهذا يعني الانفكاك بين الجامع والجامعة فلم يعد للجامع وظيفته الأساسية في حقل العلم، بعد أن كان المكان الذي تنهض منه الجامعات، ويلتقي فيه العلماء، للتدارس، والتفاد، والتشاور، والتباحث، والمناظرة. وهكذا في المجال الثقافي، حيث فقد ذلك الاشعاع الثقافي الذي كانت ستفيد منه كل الأمة، وتوقفت منه الأنشطة الثقافية الهامة، أو أنها تقلصت بشكل كبير، لايقاس عما كانت عليه في عصر الازدهار الإسلامي، أو مايفترض منه، من وجود المكتبات العامة للمطالعة، والتأليف، والكتابة والبحث، واقامة الندوات والمؤتمرات والمحاضرات الثقافية، إلى غير ذلك من الأنشطة الدينية والتربوية والإجتماعية.

وفي المجال الإجتماعي، فقد صاب الجامع ما أصاب الامة والمجتمع الإسلامي من تقسيمات مفرقة، ادخلت عليه الحواجز والحساسيات والحرج، وكل التقسيمات الموجودة فى الأمّة انسحبت على الجامع، من تقسيمات حسب المذاهب والطوائف، إلى التقسيمات حسب المناطق والدول، وهكذا حسب المراجع والعلماء، وحسب الجماعات والفئات وغيرها من تقسيمات.. بعد أن كان الجامع هو الذي يجمع الناس ولايفرقهم، وهذا من اصالته ومن مقاصده العليا.

وفي هذا المجال – ايضاً – اصبح من المحظور على المرأة الحضور إلى المساجد والمشاركة فى أنشطتها. كما تحول المسجد من مؤسسة اهليه إلى مؤسسة رسمية، يفتح فى أوقات خاصة ويغلق فى أكثر الأوقات..

هذه بعض جوانب المشكلة التى يعاني منها الجامع في واقعنا الإسلامي، وهي على سبيل العموم والاجمال، والا فهناك بالتأكيد بعض الحالات النسبية والمحدودة التى لاتصدق عليها كل هذه الملاحظات، وان صدق عليها بعضها، وهي تنهض ببعض المهام والانشطة الايجابية والضرورية.

ولاشك ان المجتمعات الإسلامية قد خسرت وتضررت من هذا الوضع الذي وصل اليه الجامع في حياتنا المعاصرة، وما كان منتظرا منه من فاعلية ونشاط يتعدد ويتكامل مع أنشطة وفعاليات المجتمع العامة ..

ثانياً: مشكلة الجامعة

التطلعات والطموحات التي كانت منتظرة من الجامعة كمؤسسة للتعليم العالي كانت كبيرة وعالية، خصوصاً وان العالم العربي والإسلامي مع بداية القرن العشرين الميلادي كان مثقلاً بالمشكلات التي كانت تحيط بمختلف مرافق الحياة، والتي تضاعفت مع مرحلة مابعد الاستعمار، المرحلة التي خرجت منها هذه الدول وهي محطمة البنى التحتية والأساسية، ومشلولة القوى والقدرة، ومشتتة التفكير والتركيز في عقلها واتجاهاتها واهتماماتها .. فكان الوضع يتطلب المسارعة، وتكثيف الجهود، وتركيزها لعودة العافية لجسم الأمة تأخذ وضعها الطبيعي المتوازن، اعداداً لمرحلة من الإنماء والإعمار والتقدم.

كما أن التنظير الذي قدمه المفكرون والمشتغلون في حقل الدراسات العليا للمهام التي يمكن ان تنهض بها الجامعات في حياة الأمّة، كان يعطيها أهمية خطيرة، فهي في نظر البعض: تمثل القيادة الفكرية والعلمية في المجتمع، وهي المؤسسة القادرة، لما يتوافر لديها من كوادر مؤهلة تأهيلاً عالياً، على التعامل مع كل المشاكل والتحديات التي تمر بها المجتمعات المعاصرة(٩٩).

وكل وجهات النظر تتوافق تقريباً على هذا الرأي، وقد تضيف اليه ماهو أكثر من ذلك.

هذه الآمال، وهذا التنظير، هو الذي يستوقف الاهتمام اليوم نحو مراجعة جادة وشاملة لواقع الجامعات في العالم العربي والإسلامي، ومقدار ماحققته من منجزات ومكتسبات..

ولعل من الجزم الاعتقاد بأن ماتحقق لايقاس وتلك الآمال والتنظيرات، ومن الصعب الاختلاف اليوم على ما أصاب مؤسسة الجامعة من خلل ومشكلات تعيق انطلاقتها ونهضة مشروعها الإنمائي والحضاري..

وهذا من أخطر ماتعرضت اليه الأمة حينما اصاب الجامعات ما أصاب الأمة من ازمات ومشكلات، في الوقت الذي كان المنتظر منها أن تقدم لنا البرامج والخطط والحلول الجادة والمدروسة لمشكلات الواقع، لا أن تصاب هي بهذه المشكلات، وبالصورة التي تعرضها للضعف الذي يقارب الشلل..

وكم كان من الضروري ان تبقى الجامعات الجسم السليم في الأمّة الذي يحتفظ بمناعة قويه تعطيه الوقاية من الامراض والأوبئة التي تفتك بالواقع، لا أن يصاب هذا الجسم بهذه الامراض. وكم كانت الحاجة إلى منطقة سليمة في جسد الأمة، وهذه المنطقة كان يجب ان تكون الجامعات وكل مؤسسات التعليم، التي يفترض ان تقدم الدواء لجسد الأمة المريض، لأنها أفضل من يشخص هذا الدواء للأمة..

وفي نظر البعض في العالم العربي أن أي دور هام ينتظر أن تساهم به الجامعات في مشاريع التنمية وغيرها: فان هذا الدور لن ينجز الا إذا امكن انتشال الجامعات العربية من آفاتها المتوطنة(١٠٠).

وقبل أن نشخص هذه المشكلة في بعض جوانبها في الجامعات الحديثة يجدر بنا أن نتوقف عند المشكلة التي اصابت الجامعات الأولى في العالم الإسلامي باعتبار قدمها وعراقتها وماوصلت اليه اليوم. والضعف الذي اصاب هذه الجامعات هو أشد من غيرها، لقد فقدت هذه الجامعات الإسلامية كالازهر والقرويين والزيتونة والنجف وكربلاء مكانتها الريادية التي عرفت بها في أزمنتها الأولى، وظهر الضعف عليها واضحاً، وتقلص تأثيرها العلمي والحضاري، ولم تحافظ علي تطورها المتواصل وتجددها الحضاري في مواكبتها مع حركة العصر في تحولاته وتطوراته ومنجزاته، وفي عصر الدولة العربية الحديثة حصل تراجع كبير في هذه الجامعات، خصوصاً وان الذي استلم السلطة السياسية هم من النخب العلمانية التي وجدت أن مشروعها السياسي والإجتماعي في الدولة لايتوافق كثيراً ومشروع هذه الجامعات. ومع تأسيس الجامعات الحديثه أعطت الدولة لنفسها المبرر في أن تقلص دعمها لتلك الجامعات وتتعامل معها باهمال، بعد أن ألحقت بالجامعات الحديثة كليات لدراسة الشريعة، ماعدا الازهر الذي صدر بحقه قانون يعطيه صفة الجامعة، بعد محاولات كثيرة، في ازمنة متعاقبة، والتي عرفت بدعوات الاصلاح التي بدأت من أول قانون صدر في عام ١٨٧٣ ينظم طريقة الحصول علي الشهادة العلمية، ويرتب درجاتها، ويقرر مواد الامتحان. وفي زمن الشيخ «محمد عبده» (١٢٦٦-١٣٢٣هـ/١٨٤٩-١٩٠٤م) ألفت لجنة ادارية دائمة للنظر في اصلاح الأزهر، وقد تحمس الشيخ «محمد عبده» كثيرا لهذه المهمة التي طالما دعا اليها وطالب بها، وفي عام ١٨٩٦م صدر قانون يساوي بين العلماء، وفي عام ١٩١١م صدر القانون الذي يقسم الدراسة إلى مراحل. والقانون الذي صدر عام ١٩٣٠م هو الذي جعل من الأزهر جامعة إسلامية، وهو أفضل حالا اليوم من بين كل الجامعات الإسلامية العريقة والقديمة التي تلاشى بعضها وجمد بعضها الآخر.

ومن ابرز مظاهر الاهمال لهذه الجامعات ماحصل لمخطوطاتها ومكتباتها المشهورة والهامة، فقد كان لجامعة القرويين مكتبة مشهورة تحتوي على عدد كبير من المخطوطات النادرة، ولكن أكثرها ضاع ولم يبق منا اليوم سوى (١٦١٣) مخطوطة، وهكذا بالنسبة لمكتبة جامع الزيتونة التى أنشأها «أبو زكريا الحفصي» وكان بها (٠٠٠ر٤٠) مخطوطة، اضيفت اليها مخطوطات أخرى فى أزمنة تالية، ولم يبق من ذلك الا القليل[١٠١].

وقد أوجز الدكتور «طه جابر العلوانى» ما أصاب هذه الجامعات من أزمة منها: بقاء المؤسسات الثقافية والأكاديمية الإسلامية على حالها على مر الزمن دون تطوير في المناهج والوسائل والتناول، وبذلك انقلبت إلى مؤسسات متحفية ذات قيمة تاريخية فقط، تعيش خارج العصر ومشكلاته الحقيقية، تدور في حلقات مفرغة من الشرح والاختصار، واختصار الاختصار.. وانقطاع صلتها بالمجتمع، ومشكلاته، وقضاياه. وعدم صلتها بالزمن، ومتغيراته ومشكلاته[١٠٢].

وحال الجامعات الإسلامية في النجف وكربلاء، والتي تعرف في هذه الأوساط بالحوزات العلمية، لم يختلف عن وضع مثيلاتها من جامعات العالم الإسلامي، ان لم يكن أسوء حالاً منها.

وعن هذا الوضع يتحدث الشيخ (مرتضى مطهري) (١٣٣٨-١٣٩٩ هـ /١٩١٨ - ١٩٧٩م): «لقد كانت الحوزات العلمية في الماضي تشمل فروعاً من العلم تضم التفسير والتاريخ والحديث والفقه والأصول والفلسفة والكلام والاداب وحتى الطب والرياضيات وغيرها، ولكنها أخذت تتقلص بالتدريج وتتحدد، أي أنها كانت في الحقيقة جامعة عامة شاملة، وغدت الآن بصورة كلية للفقة دون باقي الفروع»[١٠٣].

ويضيف السيد(محمد حسين فضل الله): «ان الحوزة العلمية لاتمثل الموقع العلمي الذي يوازي حاجات العصر وتحدياته الآن المناهج المطروحة في الحوزة بحسب المنهج الدراسي لاتزيد عن الفقه والأصول. فقد نفاجأ بأن الحوزة العلمية في النجف أو في قم أو في غيرهما لاتملك منهجاً دراسياً الزامياً للقرآن أو للحديث أو لعلم الكلام أو للفلسفة أو للمفاهيم الإسلامية العامة أو مايتصل بأساليب الدعوة وما إلى ذلك من القضايا التي تتصل بثقافة الإنسان الفقيه الداعية المبلغ .. لذلك فاننا نتصور بأن الحوزات تمثل في جوانبها الدراسية، كما تمثل في طبيعتها التنظيمية، تمثل مرحلة ماقبل مائتين أو ثلاثمائة أو أربعمائة سنة، ولاتمثل مرحلة العصر الذي تقدمت فيه المناهج والأساليب التربوية خطوات واسعة اختصرت للطالب كثيرا من عمره»[١٠٤]..

وأما عن الجامعات العربية الحديثة فان النقد الذي يوجه اليها من داخلها ليس قليلاً وفي أكثر من جانب .. فهناك نقد شديد يوجه اليها في مجال التعليم والبحث العلمي، وفي مجال علاقتها بالمجتمع ومشاركتها في عمليات التنمية الشاملة، وعن استقلاليتها والحريات الاكاديمية فيها او عن فاعلية المجتمع الاكاديمي ، وتداخل اهدافها باهداف السلطة.

ففي مجال التعليم هناك اجماع بين المهتمين بقضايا التعليم العالي على وجود أزمة في التعليم الجامعي، تتعدد مظاهرها، وتتنوع اسبابها.. واذا كان هناك مايشبه الاتفاق بين رجال الجامعة على توصيف مظاهر هذه الأزمة الا أنهم يختلفون حول تحديد طبيعتها واسبابها وبالتالي حول كيفية الخروج منها(١٠٥).

ويتضاعف النقد في ما للبحث العلمي- على أهميته الحضارية القصوى- من تأثير على اوضاعنا وأحوالنا الشديدة التخلف. فقد جاء في التقرير العالمي الأول حول العلم الصادر عن منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة، أن نسبة الاستثمار في مجال البحث العلمي والتنمية فى المنطقة العربية في عام ١٩٩٠ لم تتجاوز (٧٥ر٠٪) من إجمالي الناتج القومي العربي(١٠٦).

واما عن علاقتها بالمجتمع فمع التأكيدات المتزايدة والتنظير الواسع الا أن الواقع يكشف عن حالة معاكسة تماماً، فهناك انقطاع كبير يجعل من الجامعة وكأنها جزيرة معزولة عن المجتمع، فالحواجز والحدود والفواصل، وحتى في اختيار المكان وشكل العمران الهندسي، والاجراءات المتبعة فيها يجعل منها قطعة مفصولة، تتغذى من بعض التصورات التي تشكل الخيال الشعوري والتركيب النفسي للمجتمع الاكاديمي حين ينظر لنفسه بالرقي والتحضر، ويميز نفسه بهذه الأوصاف التي يتعالى بها عن المجتمع، وتتحول إلى عقبة في طريق المشاركة في مجالات خدمة المجتمع العامة وهكذا هو الحال في الأبعاد الأخرى..

ثالثاً: مشكلة الجماعة:

الجماعة مفهوم إجتماعي، يختزل معاني العيش المشترك، والمساواة في الحقوق والواجبات على قاعدة القانون، وحق المواطنة وهو يطلق علي المستوطنات البشرية، الصغيرة والكبيرة..

كما أن هذه الظاهرة الإجتماعية، هي من المفاهيم الإسلامية التي يشجع عليها الإسلام ويطالب بها في المجتمع الإسلامي، ويؤسس لها من خلال دعوته التعاون

والتواصي والتشاور والتعارف والتكافل، من خلال كل القيم الإجتماعية في الإسلام، على ارضية العدل والحرية والكرامة والشورى. وهي القيم العليا التي تضمن للجماعة البشرية، التماسك والفاعلية والسعي المشترك للتطور والتقدم والتجدد الحضاري المتواصل. لأن مع ضمان احترام حقوق الإنسان، وصيانة حرياته العامه تتوجه حوافز الجميع نحو البناء والإنماء. لأن الإنسان لايعمر مجتمعاً يشعر بالظلم فيه، ولايكفل له حقوقه الأساسية وحرياته العامة، وان بذل جهداً، فلايتجاوز هذا الجهد الحد الأدنى الذي لايصاحبه في العادة استعداد جاد وقوي على التضحية والتطوير المستديم..

من جانب آخر فان الجماعة كحالة تعاونية، تلتقي على اهداف عامة تتوخى منها الخدمة الإجتماعية انطلاقاً من حق الواجب العام، والمشاركة الأهلية الانمائية، هذه الحالة هي من مظاهر وسلوك المجتمعات المتحضرة التي يهمها ان تفعّل كل الطاقات البشرية، وان تشارك بما تستطيع من جهد وعطاء في كل ماله علاقة بالصالح العام الذي يخدم التقدم والإنماء العام.

ونقيض هذه الحالة ماتتصف به المجتمعات المتخلفة التي تكاد تنعدم فيها الحوافز وتتضاءل الامكانات التطوعية مع حالات من الاحباط، الوضع الذي يكرس الفردية ومايستتبعها من تفكك وانقسام وفرقة وتجزئة .. وفي هذه البيئة البشرية يصبح مفهوم الجماعة عندها في اختلال لما اصابه من تفكك وتشرذم.. ولاتنمو فيها الجماعات الأهلية التطوعية بسهولة، وإنما بصعوبة ومشقة، وعلى نطاق ضيق، وهي معرضة للتفكك في أي وقت، مع مايمكن ان تحمله معها من ضعف بسبب نقص الدعم والتعاون والتشجيع..

ومع اننا في العالم العربي والإسلامي نعاني من نقص واضح لظاهرة الجماعات الاهلية التطوعية، فان الموجود منها يحمل في داخله قابلية التفتت بين ان يكون هذا التفتت جزئياً أو كلياً أو انها معرضة للانقسام والانشطار، والمنازعات في داخلها .. خصوصاً تلك التي لم تتحصن من رواسب الواقع المتخلف فحملت معها رواسب وبعض مخلفات التجزئة والانقسام، فوجدنا من الجماعات من ينغلق على حارته أو منطقته أو عائلته، أو دولته ، أو مذهبه ، أو مرجعه، أو حزبه.. وكل مافي الساحة من تفريعات واشكال تصنيفية..

ومن مظاهر مشكلة الجماعة في واقعنا العربي والإسلامي هو غلبة الشخص علي المجموع، مع ضعف نظام الشورى فى حياة الجماعة، ونقص فى الخبراء والكفاءات العالية، وسيطرة حالة التحزب التى قد تصل إلى نوع من العصبية..

والأشد سوءاً مايحصل بين هذه الجماعات - التي يفترض فيها ان تكون الأكثر وعياً ونضجاً وتفهماً فيما بينها - من قطيعة أو تنازع أو الغاء أو علاقات محدودة لاتلبي طموح كل جماعة.. وهذا على خلاف ماتعبر عنه هذه الجماعات من أهداف وقيم ومبادئ في أدبياتها العامة والمنشورة ..

صور التكامل المعرفي

بعد نقد وتفكيك هذه المصطلحات ودراسة مكوناتها المفاهيمية بالتحليل والتركيب الجزئي، نصل إلى التكامل المعرفي بين هذه المفاهيم، ومانتوصل إليه في هذا التكامل من معادلة أو نظرية.

نقصد بالتكامل المعرفي تركيب المكونات المفاهيمية لهذه المصطلحات في اطار منهجي يقبل الضبط والاستيعاب ما أمكن، ونستخلص منه نظرية هي من محصلات البحث..

وقبل أن نشخص هذا التكامل نستحضر بعض المشتركات كقواسم عامه لهذه المصطلحات التي نستفيد منها كمعطيات:

١- الارتكاز على العنصر البشري. الذي تتقوم به، وهو المستهدف، واليه تتوجه المقاصد والأهداف لهذه المفاهيم. فالعنصر البشري مقصود في مفهوم الجامع وهكذا في الجماعة والجامعة.

٢- خاصية الجماعية بمعنى أن هذه المفاهيم تتقوم على حالة جماعية وليست فردية والمقصود منها هو الجماعة وليس الفرد.

٣- ان هذه المفاهيم تعبر عن حالة لها خاصية الجمع الذي يتعدد من مفهوم لآخر، فكل واحد من هذه المفاهيم لها محور تتأسس عليه خاصية الجمع. فالجامع محوره الدين او العبادة وهو الذي تؤسس عليه خاصية الجمع . والجامعة محورها العلم وهو الذي تؤسس عليه خاصية الجمع. وهكذا في الجماعة الذي يتعدد محورها وعلى كل محور منها تتأسس خاصية الجمع.

٤- ان كل واحد من هذه المفاهيم من الممكن أن يتمثل ويستوعب المفاهيم الأخرى. فمن الممكن أن تجتمع الجامعة والجماعة في الجامع، وان يجتمع الجامع والجماعة في الجامعة، وهكذا بالنسبة إلى الجامعة. هذه بعض القواسم المشتركة العامة، وهي من خلفيات ومعطيات صور التكامل المعرفي. والتي يمكن ان ندرسها في ثلاث صور.

اولاً: التكامل المعرفي في صورة ان تتكامل هذه المفاهيم في كل واحد منها..

ثانياً: التكامل المعرفي في صورة أن تكون الجماعة هي القاسم المشترك للجامع والجامعة.

ثالثاً: التكامل المعرفي في صورة أن تتكامل هذه المفاهيم التي نتوصل عن طريقها إلى نظرية تأخذ من كل هذه المفاهيم.

التكامل الوظيفى

فى هذه الصورة يتكامل في جانب المسجد، الجامع، والجامعة، والجماعة. وهذا يعني ان ينهض المسجد بثلاث وظائف هي: الوظيفة الدينية، والوظيفة العلمية، والوظيفة الإجتماعية. وان يتأهل لهذه الوظائف. وهي ليست جديدة عليه، ولاطارئة، ولاخارجة عن اهتمامه. بل كانت متكاملة فيه، في ظل الحضارة الإسلامية، ولم تنقطع عنه أو تتضيق الا مع التراجع الحضاري الذي جمد فعاليات الأمّة وطاقاتها، وحول المفاهيم إلى قشور بلا لباب، ومظاهر بلا جوهر، وفكك وظائفها، وسلب منها الوظائف التي تتصل بالعلم والمجتمع، واقتصرت على الجوانب الفردية وعلى نطاق ضيق، كالذي حصل مع المسجد، بعد ان كان المؤسسة الأكثر فاعلية في حياة الأمة، والتي تعددت وظائفه بكل ماتحتاج اليه الأمة. حينما كان العقل الإسلامي يتصف بالادراك الواسع، والنظر البعيد، والتطلع إلى التقدم، والسعي نحو العمران. فكان المسجد يكتسب من البيئة الحضارية التي عاشها المسلمون تألقاً وإزدهاراً في مكانته وفاعليته، التي كان يشعر بقيمتها كل الناس، حينما كان المكان الذي يتعارفون ويتشاورون فيه في أمورهم العامة، وتعقد فيه مجالس القضاء والصلح بين الناس وحل المنازعات وتقام فيه حلقات الذكر والدرس، بالاضافة إلى فعالياته في ميادين الخدمة الإجتماعية في مساعدة المحتاجين والضعفاء والفقراء من المسلمين.. إلى غير ذلك، فالمسجد كما يقول الدكتور «وليد نويهض» أدى دوره في مطلع الدعوة على أساس أنه حجر الزاوية في اتجاهات ثلاثة: فهو مكان الإجتماع «الجماعة المؤمنة»، وهو قاعدة الدولة «وظائف متعددة تتفرع منه الوظائف الأخرى» وهو مركز المدينة وميدانها الرئيسى الذى تمتد منه الأحياء والشوارع والأسواق[١٠٦].

وحتى مع قيام الدولة ومؤسساتها وأنظمتها، ماكان يفترض ان يسلب من المسجد هذه الوظائف والخدمات المتعددة ويضيق على أنشطته، لأن المسجد هو في الأصل مؤسسة أهليه وليست رسمية، وأنشطته وخدماته متوجهة إلى المجتمع الاهلي من غير

تزاحم او تعارض مع الدولة وأنظمتها وقوانيها. لأن العمل من خلال المؤسسات ليس من حق الدولة فحسب، وإنما هو من حق الناس ايضاً. وليس هناك مايلزم الناس في ان يرجعوا في كل أمورهم وشؤونهم إلى الدولة، كما ليس من صالح الدولة ان تفرض علي الناس هذا الإلزام، لأن مما لاشك فيه ان الدولة بكل ماتملك من أجهزة ومؤسسات وقوانين وقدرات يصعب عليها أن تستوعب كل قضايا الناس في مختلف شؤونهم، خصوصاً مع مايسود الاجهزة الادارية من روتين وبيروقراطية متعبة تعطل وتؤخر على الناس قضاياهم، حتى أضحت مضرباً للتشاؤم.

من هناك كانت الضرورة لان يكون للناس مؤسساتهم الأهلية التي يتعاونون من خلالها في تدبير أمورهم وحل قضاياهم بالعدل والرضا والشورى وبما لايتعارض مع الدولة .

اما عن وظيفة المسجد العلمية فهي من صميم وظائفه الأساسية كما شرحنا ذلك فيما سبق. وهذه الوظيفة بالذات بحاجة إلى اشراف عليها من لجنة علمية مؤهلة، تقوم بدور التخطيط والإعداد والتنفيذ والمراقبة.. وان تعدد برامجها، من برامج لمحو الأمية وتعليم الكبار، إلى برامج للتقوية، وأخرى للتثقيف والتوعية في مجالات الصحة والخدمة الإجتماعية والعمل التطوعي.

اما التعليم العالي فله امكانية ان يتحقق في المسجد اذا توفرت إمكاناته وقدراته وكل شروطه ولنا تجارب شاهدة على ذلك تثبت لنا هذه الإمكانية ، حتى لو كانت الظروف قد تغيرت.

وبالنسبة للبحث العلمي، فان هذا المجال العلمي الرفيع والمتقدم، قد يصعب علينا ونحن نفكر من بيئة متخلفة ان ندرك ابعاد هذه العلاقة، وامكانية ان ينهض الجامع بمثل هذا الدور. والمشكلة هي في هذه البيئة المتخلفة التي ضيقت آفاقنا، وحدت من تفكيرنا، وفرضت علينا معايير ومقاييس تجعلنا ننظر إلى الأمور من زوايا منخفضة ودانية. والتفكير من خلال هذه المعايير لايجعلنا نتصور امكانية ان يكون للجامع مشاركة في مجال كالبحث العلمي.

لكننا لو اعتمدنا معايير بيئة حضارية لاختلفت نظرتنا إلى الأمور ومنها هذا الأمر. واذا كان للجامع أن ينهض بهذا النوع من النشاط فهو بحاجة إلى مركز علمي للدراسات والبحث مؤهل لنشاط البحث العلمي.

وفي مجال مشاركة المسجد فيما يرتبط بتنمية المجتمع فان له دوراً هاماً لو أحسنا توظيفه، ولو أن المسجد ادرج في التخطيط لعمليات التنمية الشاملة التي تشرف عليها

الدولة لكان من الممكن أن يصبح دوره حيوياً ومميزاً، وبالذات في مجال التنمية الإجتماعية والتنمية الثقافية لكن هذا الدور بحاجة إلى تخطيط واستكشاف وتعاضد من مؤسسات الدولة وأجهزتها الادارية.

وما يعزز من قدرة الجامع على انجاز هذه الوظائف هو حيوية مكانته بين الناس، وماتتوفر لديه من امكانات مالية كبيرة من التبرعات والحقوق الشرعية والاوقاف، وهي في بعض المجتمعات ليست قليلة. لأن الناس لديها الاستعداد لأن تعطي للمسجد من المال وغيره.. ومابين العلماء من ارتباط بالجامع وهكذا شرائح كبيرة من المجتمع من أهل الكفاءة والعلم.

أما التكافل المعرفي في جانب الجامعة، فكما أن من الضروري أن يلازم العبادة والدين العلم فكذلك من الضروري ان يلازم العلم العبادة والدين. وكما نحتاج إلى الجامعة بوظائفها في الجامع، نحتاج إلى الجامع في الجامعة لا أن تكون الجامعة هي المكان الغريب عن الدين تحت عناوين التحرر والتقدم والحداثة والعلم. فتصبح وكأنها قطعة نقلت الينا من الغرب، وانتقالها إلى بيئتنا حولها إلى قطعة هجينة ومشوهة. فلاهي بمواصفات الغرب، ولاهي بمواصفاتنا. مما أفقدها عناصر قوتها. وقد التفت البعض من المشتغلين بالدراسات الجامعية، الى المشكلة التي وقعت فيها البلاد النامية والتي جعلت من الجامعات فيها غير منتجة بالطموح الذي كان منتظرا منها، ولاتعبر عن البيئة الموجودة فيها بحاجاتها وشروطها وقيمتها وهويتها ومتطلباتها الحقيقية في عمليات الإنماء الشامل.

وقد عبر عن هذه المشكلة في المجتمعات الافريقية، البروفيسور «فانونو» التي كانت المشكلة فيها أشد وضوحاً بقوله: «يبدو أن المشكلة الأساسية بالنسبة للجامعات الافريقية هي أنها تفتخر إلى حد بعيد بالابقاء على ذاتها كنسخ كربونيه من المؤسسات والانساق الأجنبية إلى درجة أنها تبدى القليل أو حتى عدم الاهتمام لبيئتها الإجتماعية الذاتية»[١٠٨].

وعن الجامعات العربية يقول الدكتور «مصطفى عدنان»: «ان الجامعات العربية جاء تكوينها على صورة هجينة لبعض جامعات العالم المتقدم، باتت اليوم رهينة انحسار واضح في سموها العلمي، مما اوصلها إلى مقام سبات يكاد يقارب صمت القبور»[١٠٩].

ويذهب الدكتور «طه جابر العلواني» إلى أن هذه المشكلة هي الاساس في جامعات العالم الإسلامي، حيث يقول: «قد تكون المشكلة كلها في نقل مؤسسات الاطار

الاكاديمي الغربي بمنطلقها وهدفها ومنهجها إلى العالم الإسلامي، الأمر الذي يؤدي بالضـرورة إلى تكريس لحـالة التـبـعـيــة الفكرية والثـقـافـيــة للغـرب في الشكل والمحتوي»(١١٠).

وقد كانت هذه القضية، قضية مابين الجامع والجامعة هنا، علاقة مفترضة في وعي الأستاذ «مالك بن نبي (١٣٢٢-١٣٩٤هـ /١٩٠٥-١٩٧٣م) حين قال: «شبر للجامع في الجامعة خير من امتار للجامع خارج الجامعة»، ولاشك ان في هذا القول إدراك واسع ولقد بذل «مالك بن نبي» جهده في انشاء جامع داخل جامعة الجزائر وتمكن من ذلك، بعد خلاف ونزاع مع التيارات اليسارية. والجامع يرمز إلى هويتنا واستقلالنا الفكري والثقافي، وإلى علاقة العلم والدين، وإلى الطهارة والقداسة. وان الجامعة هي- ايضاً- مكان للعبادة ولها قداستها وحرمتها التي تكتسبها من قداسة، وحرمة العلم والدين.. لا أن تتحول الجامعة- كما هو حاصل اليوم في عالمنا العربي والإسلامي- التي لم تسلم حتي من انتشار المخدرات فيها. وهذا من اشد ماينقض الجامعة في عمقها وجوهرها، لأنها كما يفترض منها أن تصبح حصن العلم وقلعة العقل وبيت الحكمة، هذا العلم الذي يحميها من هذه الظواهر التي تفسد العقل وتفتك به. كما لم تسلم من بعض الانحرافات السلوكية خصوصاً في الجامعات المختلطة، كما نجد في بعضها صراعات الغرب، ليس الغرب الحضاري بل الغرب المنفلت من القيم والأخلاق، وليس الغرب في جامعاته، بل الغرب في شوارعه.

فمن الصعب ان نقول ان جامعاتنا اليوم هي بيئة نظيفة ومحمية.

وليس المقصود من الحاجة إلى الجامع في الجامعة هو مجرد وجود منشأة هندسية لها شكلها الفني، وانما لاحياء الدين في الجامعة الذي يتصاحب مع العلم، ويدفع بالإنسان نحو مزيد من الاجتهاد والجد والمثابرة، الدين الذي يرفع الله به الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات، والذي جعل من العلم رأس الفضائل، وافضل هداية، وضالة المؤمن، وأنفع كنز، وان قلباً ليس فيه شئ من العلم هو كالبيت الخراب الذي لاعامر له، وهو أصل كل خير، وحياة القلوب، ونور الابصار من العمى، وقوة الابدان من الضعف، الدين الذي يجعل من طلب العلم فريضة، ومن التفكر عبادة، هذه بعض منزلة العلم في منظور الدين الإسلامي الحنيف.

كمـا أن الحـاجـة إلى الجـامع، في ان يجـمع المجـتمع الاكـاديمي على الايمان والاخلاص والتعاون وتسخير العلم لخدمة الصالح العام في إطار تنمية المجتمع. وفي

أن يوفر بيئة نظيفة وصالحة فيها كل حوافز الخير والعمل الصالح من طلب العلم إلى العمل به.

واما التكافل المعرفي في جانب الجماعة، فهذا ماسوف نشير اليه في الصورة الثانية.

التكامل على مستوى التأسيس

ان من محصلة التكامل المعرفي بين الجامع. والجامعة هو أن تتشكل الجماعة البشرية على أساس الدين والعلم، الدين بمعنى التأهيل الديني، والعلم بمعنى التأهيل العلمي، وبهذا التأهيل تنهض الجماعة بوظيفة الاصلاح والإنماء والعمران، المهمة التي لايمكن أن ينهض بها فرد، او أفراد متفرقون، لأنها أكبر من قدرتهم وعطائهم، وان كان هذا الواجب لايسقط عنهم.

وان التكامل والتلازم بين الدين والعلم ينبغي أن يتحقق في الجماعة البشرية، لا أن يكون الدين محصوراً في فئة خاصة، والعلم محصوراً في فئة محدودة، لأن طاعة الله سبحانه وتعالى لاتتحقق الا بمعرفه دينه، ومن هنا وجب على كل فرد أن يعرف دينه، ولأن الإنسان مسؤول في هذه الحياة، ولاتتحقق لديه القدرة على القيام بهذه المسؤولية الا بالعلم.

ويذهب السيد «محمد باقر الصدر» إلى أن الاستخلاف الذي ورد في القرآن الكريم هو استخلاف للجماعة حيث يقول: «ان الاستخلاف من الله تعالى استخلاف للجماعة ولهذا فان الجماعة– ككل – بحكم هذا الاستخلاف مسؤولة امام الله تعالى.. والإسلام إذ يضع مبدأ الخلافة ويستخلف الجماعة البشرية على الأرض يضع للخلافة أهدافها الصالحة، وبهذا يحدث انقلاباً عظيماً في تصور الأهداف وتقييمها، ويؤدي بالمقابل إلى انقلاب عظيم في الوسائل والأساليب»[١١١].

وهذا يعني ان الإسلام يريد أن يستنهض كل الأمة لكي يؤهلها للقيام بوظيفتها العامة في عمران الحياة وبناء الحضارة..

التكامل المعرفي

في هذه الصورة نصل إلى المستخلص النهائي الذي نبلور فيه نظرية هي محصلة هذا البحث.

وهذه النظرية هي: الدين والعلم والإنسان = البناء الحضاري

الدين يرمز إلى الجامع، والعلم يرمز إلى الجامعة والإنسان يرمز إلى الجماعة وبإجتماعهم بمنهجية التكامل المعرفي يتحقق البناء الحضاري والعمران الإنساني.

الدين والعلم يصنعان الإنسان، والإنسان بالدين والعلم يصنع البناء الحضاري.

الدين يرسم للإنسان الأهداف والغايات والمقاصد. والعلم يرسم للإنسان الاساليب والطرق والادوات. والإنسان بالأهداف والغايات والمقاصد، والاساليب والطرق والادوات يتمكن من البناء الحضاري والعمران الإنساني.

الدين يحدد للإنسان ماذا نريد من الحضارة، والعلم يحدد للإنسان كيف نبني هذه الحضارة، والإنسان بماذا وكيف يصنع الحضارة..

الدين يعطي الإنسان البصيرة، والعلم يعطي الإنسان البصر، والإنسان بالبصيرة والبصر يعرف طريق الهدى ويسلكه إلى غاياته..

الدين يعرف الإنسان بعالم الغيب، والعلم يعرف الإنسان بعالم الشهادة. وبعالم الغيب نعرف ماذا نريد من عالم الشهادة، وبعالم الشهادة يعرف الإنسان كيف يصل إلى ماذا يريد.

فبين الدين والعلم تكامل جوهري عميق، والإنسان هو المعني بهذا التكامل، واليه تتوجه المصالح والمقاصد.

وأى نقص أو خلل أو ارباك في احد هذه العناصر الثلاثة، فان التوازن الحضاري يصاب بالضعف والخلل والنقص..

الدين بلا علم لايؤهل الإنسان لبناء الحضارة ولايخلق في الإنسان التوازن في الحياة، والعلم بلا دين قد يؤهل الإنسان لتسخير الطبيعة والاستفادة من كنوزها وثرواتها، لكنه يفقده القدرة على ان يعيش بتراحم وتكافل وأخوة، والإنسان بلا دين وبلا علم يشبه اللاوجود في عالم الوجود..

ولعلنا في الإسلام نجد أوثق صور التكامل بين الدين والعلم، الدين الذي يحتوي على اكبر دعوة للعلم..

واما الاشكالية التي أثيرت من قديم بين العلم والدين، فهي في مصدرها، أو نشأتها، وزمنها ومكانها، كانت في أوروبا، وفي ظل أوضاع شديدة التخلف، ولم يكن لهذه الاشكالية أي مبرر لظهورها في الحاضرة الإسلامية، ولم ينقل لنا التاريخ الفكري الإسلامي في زمن إزدهار الحضارة الإسلامية، هذه الاشكالية او الاشتغال بها، لأنها كانت خارج التصور الذهني، والابتلاء العملي، وماكان العقل الإسلامي يتقبل ان يكون

الدين في تنافر او تصادم مع العلم، لأن المسلمين كانوا يجدون في الدين أكبر حافز على الاشتغال بالعلم والتقدم به إلى أرقى المستويات.

فمن الغرب وصلتنا هذه الاشكالية التي جعلت من غير الممكن التوافق بين العلم والدين بالوضع الذي كانت عليه أوروبا آنذاك، حين كان الدين المتمثل في مؤسسة الكنيسة ورجال الدين يشكلون اكبر عقبة أمام العلم، والابداع العلمي والتطور الحضاري، فكان شرط التقدم عندهم يتوقف على فك العلاقة بين العلم والدين في اجواء وظروف هيأت للصدام والنزاع بينهما.

ومن هناك انتقلت الينا هذه الاشكالية بالفهم والمنظور الذي كانت عليه في أوروبا ولم يكن لها أي مبرر علمي أو موضوعي، لولا ما أصابنا من التخلف والتراجع الحضاري الذي افقدنا القدرة العلمية والإستقلال الفكري في النظر إلى الأمور ومعالجة القضايا. فالبيئة عندنا غير البيئة في الغرب، والتطور التاريخي عندنا غير التطور التاريخي في الغرب، حاجات المجتمع عندنا غير حاجات المجتمع في الغرب، وهكذا في الثقافة والهوية والتراث والدين..

وحينما تفوق الغرب حضاريا على العالم استطاع ان يفرض على الأمم قضاياه الفكرية والثقافية، وان يشغل العالم بهذه القضايا، وهذا هو حال كل أمّة تتفوق حضاريا على غيرها..

والجهل بالدين هو الذي أوصل ببعض النخب المثقفة في عالمنا العربي والإسلامي إلى تبني وجهة النظر الغربية في النظر إلى اشكالية العلم والدين على وجه التصادم والانفصال، ومما رسخ هذه النظرة ماكان يحدث في العالم العربي والإسلامي من جهل وتخلف من جهة، ومن جهة أخرى انجذاب وانبهار بما كان يحدث في الغرب من تقدم وتطور وصناعة..

وبعد كل هذا التاريخ والزمن من تعاطي الغرب مع هذه الاشكالية الحادة، الذي اعتقد في بادئ الأمر أنه حسم الموقف وحكم عقلانية المنطق، ولم يبق مكان لهذه الاشكالية الا في التراث القديم، بعد كل هذا، يعيد الغرب اليوم النظر من جديد في دراسة هذه الاشكالية، التي أخذت تطرح نفسها من جديد، ومنذ فترة يدور في بعض العواصم الأوربية وفي مقدمتها لندن سجالات جديدة حول هذه العلاقة وبأسئلة جديدة، وبرؤية جديدة نسبياً.

ومن هذه الأسئلة:

- أمن الضروري أن يكون العلم والدين نقيضين؟
- وهل من واجبنا أن نبحث عن الايمان في كل الميادين والمجالات؟.
- أيكون العلم هادياً إلى الدين؟
- أيكون الدين طريقاً للعلم؟
- وما هي العلاقة التي تربطهما؟
- أين يلتقيان وأين يفترقان؟

لاشك أن هذه أسئلة هامة وخطيرة، وجدير بالغرب ان يعيد النظر فيها، وان يبحث عن رؤية جديدة حولها.

وقد كشفت هذه الاسئلة ان الغرب بعد كل هذا التقدم والتطور والحداثة ومابعدها، وهذا التاريخ المذهل في استكشاف العلم والنفوذ إلى أعماقه والنهوض به إلى أعلى المستويات، لم يستطع أن يلغي هذه الاشكالية من الواقع الفكري والثقافي، وان يبعد الدين عن حركة الحياة مع كل مافيها من تغير وتحول وتطور..

كما كشفت ايضاً عن عجز في الفلسفات الغربية القديمة والحديثة، على كثرتها وتعددها ونموها وتطورها، في أن تقدم اجابة ايجابية ومتوازنة لهذه الإشكالية.. الاشكالية التي تجعل كل امة في حالة من القلق الدائم اذا لم تضع حداً مقبولاً لها. والغرب مالم يقدم اجابة يُخرج بها هذه الاشكالية من حيّز التصادم والافتراق، فسوف يظل قلقاً بسببها، إلى أن يضع حداً توافقياً لايجعل من العلم نقيضاً ومتعارضا مع الدين..

والذي حققه الغرب من تقدم في مجال العلم يذهل العالم، لكن الذي خسره ليس قليلاً، وهو أكثر من غيره من يشعر بهذا الخسران، فقد خسر الإنسان هناك أسرته ومالها من تراحم ودفء وسكن روحي ومن عاطفة، وفقدت الروابط العائلية والإجتماعية عمقها الاخلاقي والوجداني. والسؤال الصعب الذي يطرح هناك هو: ماهو الإنسان؟ في جوهره وكينونته؟

فالعلم من غير دين قد يصنع مدينة لكنه لايصنع عمراناً إنسانياً، قد يصنع تقدماً مادياً لكنه لايصنع مجتمعاً متراحماً، متكافلاً، متواداً..

فماذا نريد من المدنية اذا خسرنا الإنسان!؟ وهل الإنسان للمدنية أم المدنية للإنسان؟!

والخلاصة ان البناء الحضاري المتوازن، والعمران الإنساني الناضج والفاعل، انما يتشكل من ثلاثة أركان أساسية: الدين والعلم والانسان، وبعبارة أخرى الجامع والجامعة والجماعة.

الدين يحدد المسار، والعلم يحدد الأدوات، والإنسان يسير بهدى الدين، وبأدوات العلم في بناء الحضارة، والإنسان الذي يصنع الحضارة، هو الإنسان الذي يتمثل الدين بقيمه وعقائده وأخلاقه واحكامه ومقاصده، ويتمثل العلم بآدابه وأخلاقه وإجتهاده وعمقه وقوته.

ومن حقل الهندسة المدنية نتعرف على قانون البناء، فكل بناء معماري بحاجة إلى ثلاثة عناصر أساسية، لاغنى عن أي واحد منها، هي:

١- خطة البناء. ٢- أدوات البناء. ٣- والإنسان الذي يصنع البناء.. وهكذا هو البناء الحضاري، فالدين هو خطة البناء، والعلم هو أدوات البناء، والإنسان هو الذي يصنع البناء..

وهذا الذي تميزت به الحضارة الإسلامية التي جعلت من الدين أكبر حافز نحو العلم، واكبر قوة في الإصلاح والتغيير والعمران الإنساني، وجعلت من العلم اكبر حافز نحو الدين، وقوة إلى جانب الدين في البناء الحضاري. وجعلت أمام الإنسان أكبر حافز نحو الدين والعلم، والنهوض بهما نحو البناء الحضاري والعمران الإنساني..

وفي الأخير لابد من لفتة ذات قيمة عالية، هي المحاولة الايجابية التي حصلت في ايران بعد الثورة الإسلامية التي جمعت بين تلك الأبعاد، حين اتخذت من الجامعة مكاناً لصلاة الجمعة فجمعت بين الجامع والجامعة والجماعة. وهذه الخطوة تحتوى على مضامين هامة وقيمة، جعلت من الجامعة مكاناً للعبادة، وجعلت من الجماعة وكل المجتمع أن يكونوا على علاقة بهذه الجامعة.

وقد برهنت هذه المحاولة أن أي خطوة باتجاه تطبيق الإسلام على واقع الحياة يجعل من الممكن ان تجتمع هذه الابعاد الثلاثة من غير تنافر او قطيعة او تصادم كما قد يتصوره البعض، بل تكامل وترابط يدفع بالمجتمع نحو البناء الحضاري والعمران الإنساني.

الهوامش

(١) عالم الفكر «الكويت» تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد الرابع والعشرون، العددان الأول والثاني، يوليو – سبتمبر – اكتوبر – ديسمبر ١٩٩٥م، ملف «التعليم العالي في الوطن العربي» مسألة الجامعات العربية: منظور القبور الحية، د. عدنان مصطفى، ص٢١، نقلا عن: No2, January 1972, London University Bulletin.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، قم– مكتب الاعلام الإسلامي– ١٤٠٤هـ، ج١، ص٤٧٩.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: علي شيري، بيروت– دار احياء التراث العربي ١٩٨٨م، ج٢، ص٣٥٥.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية – الادارة العامة للمعجمات واحياء التراث – استانبول، دار الدعوة، ١٩٨٩م، ج١، ص١٣٤.

(٥) المنجد في اللغة والاعلام. د. منير البعلبكي، بيروت– دار المشرق، ١٩٧٣م، ص١٠١.

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية–القاهرة، ط٢، ج١، ص٢٠٤.

(٧) المصدر نفسه، ص٢٠٤.

(٨) موسوعة له الاسماء الحسنى، د. أحمد الشرباصي، بيروت: دار الجيل، ١٩٨١م، ج١، ص٤١٣.

(٩) آل عمران، آية ٩.

(١٠) النساء، آية ١٤٠.

(١١) موسوعة له الأسماء الحسنى، مصدر سابق، ج١، ص ٤١٥.

(١٢) النور، آية ٦٢.

(١٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت: دار مكتبة الحياة، ج٥، ص٨١،

(١٤) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، بيروت – مؤسسة الأعلمي– ١٩٧٣م، ج١٥، ص١٦٦.

(١٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. السيد محمود الآلوسي البغدادي، بيروت - دار احياء التراث العربي، ج١٧، ص٢٢٣.

(١٦) لقمان، آية ٢٧.

(١٧) سورة الأعراف، آية ١٩٩.

(١٨) انظر لسان العرب، مصدر سابق، ج٢ ص٣٥٦.

(١٩) ميزان الحكمة، الشيخ محمدي الري شهري، بيروت - الدار الإسلامية، ١٩٨٥م، ج٤، ص٣٨٠.

(٢٠) ميزان الحكمة، ج٤ ص٣٨١.

(٢١) ميزان الحكمة ج٤ ص٣٨٢.

(٢٢) سورة البقرة، آية ٣٤.

(٢٣) سورة النحل، آية ٤٩.

(٢٤) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج١٢، ص ٢٦٥،

(٢٥) الأمثل في تفسير الكتاب المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، بيروت- مؤسسة البعثة، ١٩٩٢م، ج٩، ص١٩٠.

(٢٦) أحكام القرآن، أبوبكر أحمد بن علي الرازي، ج١، ص٣٢.

(٢٧) ميزان الحكمة، مصدر سابق، ج٤، ص٣٨٠.

(٢٨) سورة الجن، آية ١٨.

(٢٩) سورة التوبة، آية ١٠٧.

(٣٠) تاريخ الأمم والملوك، الإمام محمد بن جرير الطبري، بيروت- مؤسسة الأعلمي، ج٢، ص١١٦. انظر ايضاً الكامل في التاريخ، علي بن ابي المكارم الشيباني «ابن الأثير» - بيروت - دار صادر - ١٩٧٩م، ج٢، ١٠٩.

(٣١) الإسلام والسياسة، نشوء الدولة في صدر الدعوة. وليد نويهض، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٤م، ص١٢٩.

(٣٢) سورة الجمعة، آية ٩-١٠.

(٣٣) تاريخ الأمم والملوك. مصدر سابق، ج٢، ص١١٥.

(٣٤) انظر مقارنة الأديان – اليهودية. د. أحمد شلبي، القاهرة – مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨م، ج١، ص ٢٣٠.

(٣٥) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، بيروت: دار التعارف، ج١، ص٩٣.

(٣٦) المصدر نفسه، ج١ ص٩٣.

(٣٧) انظر كتاب تاريخ التشريع الإسلامي، د. عبدالهادي الفضلي، قم – دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٣م، ص٣٥.

(٣٨) الموسوعة العربية الميسرة. اشراف: محمد شفيق غربال، القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٥م، ص٦٠٠.

(٣٩) المصدر نفسه ص٦٠٠.

(٤٠) عالم الفكر – الكويت، مصدر سابق، ص١٩. نقلا عن كتاب الدليل العام للجامعات العربية، اتحاد الجامعات العربية، الأمانة العام، عمان – الاردن ١٩٨٨.

(٤١) وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية في عالم مترابط. د. أحمد صدقي الدجاني، القاهرة – دار المستقبل العربي ١٩٩٠ ، ص ١٤٦، نقلا عن ديوان «جينا نجالي» طاغور.

(٤٢) الموسوعة الفلسفية العربية، اشراف. معن زيادة، بيروت– معهد الانماء العربي– ١٩٨٦م، جـ١، ص ٣٣٠.

(٤٣) موسوعة علم النفس، اعداد: د. أسعد رزوق ، بيروت – المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٩م، ص ٩٩.

(٤٤) علم النفس، د. جميل صليبا، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م، ص١١٠. نقلا عن كتاب روح الإجتماع، جوستاف لوبون، تعريب: أحمد فتحي زغلول، ط٢، ص٢٤.

(٤٥) كنز العمال، مؤسسة الرسالة ط٥/١٩٨٥ ، ج١ ص ٢٠٦، ح ١٠٣١.

(٤٦) كنز العمال، ج٧ ص ٥٥٨، ح ٢٠٢٤٢.

(٤٧) كنز العمال، ج١، ص٢٠٦، ح ١٠٢٨.

(٤٨) ميزان الحكمة، ج٢، ص٦٦، ح ٢٤٣٤.

(٤٩) بحار الأنوار، ج٢ ص ٢٦٥.

(٥٠) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦٦.

(٥١) كنز العمال ج١، ص٢٧٨، ح١٦٤٤.

(٥٢) انظر مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور، دمشق: دار الفكر ١٩٩٦م، ص٣٠٧ – ٣٠٩.

(٥٣) بحار الأنوار ج١ ص١٨٠. كنز العمال ج١٠، ص ١٣٨، ح ٢٨٦٩٦.

(٥٤) هناك من ذهب إلى أن كلمة القرآن غير مشتقة من كلمة أخرى، بل وضعت هذه الكلمة ابتداءً للكلام الالهي المنزل على النبي الخاتم، هذا ماذهب اليه الامام الشافعي، وذهب كل من الزجاج واللحيائي إلى أن القرآن من كلمة «قرأ» مع تفاوت بينهما في فهم معني «قرأ» التي تشكل مادة «القرآن» فقال الزجاج: ان «قرأ» تعني الجمع، ومنها قولهم: قرأت الماء في الحوض، والقرآن سمي بذلك لأنه يجمع ثمرات الكتب السماوية السابقة، وإلى هذا ذهب قتادة أيضاً. اما اللحيائي فقال: إن القرآن مشتق من قرأ بمعنى تلا، والقرآن يعني القراءة، وسمي بالمصدر وهو في الحقيقة «المقروء» كما سمي المكتوب كتاباً والمحسوب حساباً. وهذا رأي ابن عباس ايضاً. وهناك آراء أخرى انظر مقدمة مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ الطبرسي مصدر سابق، ج١، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج١ ص٥٢. ومباحث في علوم القرآن. د. صبحي الصالح، بيروت: دار العلم للملايين، ص١٧. ومختصر تاريخ القرآن الكريم د. محمد باقر حجتي، ترجمة وتلخيص د. محمد علي آذرشب، دمشق: المستشارية الثقافيه الايرانية ص٩.

(٥٥) ميزان الحكمة، ج٦، ص٤٥٨، ح ١٣٤٠٩.

(٥٦) ميزان الحكمة، ج٦٢، ص٤٥٨، ح ١٣٤٢٠.

(٥٧) كنز العمال، ج١٠ ص١٣١، ح٢٨٦٥٥.

(٥٨) بحار الأنوار ج١ ص١٨٥.

(٥٩) كنز العمال ج١٠ ص١٦١، ح ٢٨٨٣٥.

(٦٠) البحار ج١ ص ١٧١.

(٦١) ميزان الحكمة، ج٦ ص ١٤.

(٦٢) البحار، ج٧٨، ص٤١ – ٧٥.

(٦٣) سورة المجادلة، آية ١١.

(٦٤) سورة الزمر، آية٩.

(٦٥) الموسوعة العربية الميسرة. مصدر سابق، ص٦٠٠.

(٦٦) طه، الآية: ١١٤.

(٦٧) المجادلة، الآية ١١.

(٦٨) الزمر، الآية ١٠.

(٦٩) كنز العمال، ج١٠، ص١٤٦، ح٢٨٧٤٦.

(٧٠) عالم الفكر– الكويت – مصدر سابق ص١٩.

(٧١) بحار الأنوار، ج٨٣، ص٣٨٣..

(٧٢) بحار الأنوار، ج٧٧، ص٨٥.

(٧٣) البحار، ج٨٣، ص٣٨٤.

(٧٤) البحار، ج٨٣، ص٣٧٩.

(٧٥) الاجتهاد والحياة، اعداد محمد الحسيني، بيروت: الغدير للطباعة، ١٩٩٦م، ص١٦٤.

(٧٦) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. د. يوسف القرضاوى، بيروت– مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م، ص٦٨.

(٧٧) الجن، الآية ١٨.

(٧٨) الإسلام والتنمية البشرية. د. عبدالرحمن عيسوي، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٨، ص٩٥.

(٧٩) الموسوعة العربية الميسرة، ص ٦٠٠.

(٨٠) وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية في عالم مترابط. مصدر سابق ص١٤٨.

(٨١) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٨٢) الوحدة (المغرب) تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية، السنة السادسة، العدد ٧٢ ايلول – سبتمبر ١٩٩٠م، ملف التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، ورقة: الجامعات العربية: أهدافها وأزمتها، محمد أحمد اسماعيل علي، ص١٨.

(٨٣) عالم الفكر (الكويت) تصدر عن وزارة الاعلام، المجلد التاسع، العدد الثاني، يوليو- اغسطس- سبتمبر١٩٨٨م، ملف الاتجاهات الحديثة في التربية، ورقة الجامعات وتحديات المستقبل مع التركيز على المنطقة العربية، عبدالله بويطانة، ص ٩٤ - ٩٦.

(٨٤) وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية في عالم مترابط. مصدر سابق، ص١٥٠.

(٨٥) عالم الفكر، ملف الاتجاهات الحديثة في التربية، مصدر سابق، ص٩٦.

(٨٦) الوحدة، ملف التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، مصدر سابق، ص١٧.

(٨٧) وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية في عالم مترابط، ص١٤٧، نقلا عن كتاب الخدمة العامة في التعليم العالي، باتريشيا كروسون.

(٨٨) هذه بعض انطباعات من جولة على الجامعات الألمانية قام بها الأستاذ ساسين عساف، نشرها في جريدة السفير (لبنان) الجمعة ١٦/١٢/١٩٩٤م، تحت عنوان دور الجامعة في المانيا.

(٨٩) هذه بعض انطباعاته من تجربة امضاها الكاتب في مهمة اكاديمية في بعض جامعات كندا، نشرها في جريدة السفير (لبنان) بطلب منها. السبت ٢٥/١١/١٩٩٥م، حملت عنوان «كيف تحولت الجامعات إلى حاجة ماسة للمجتمع؟».

(٩٠) سورة الزخرف، آية ٣٢.

(٩١) انظر ميزان الحكمة، ج٦، باب العلم.

(٩٢) البحار، ج٢ ص٢٥.

(٩٣) البحار، ج٢ ص٢٥، الميزان ج٦ ص٤٦٩، ح١٣٤٩٤.

(٩٤) كنز العمال، ج١٠ ص١٥٧، ح ٢٨٨٠٩.

(٩٥) سورة البقرة، آية ١٥٩.

(٩٦) سورة البقرة ، آية ١٧٤.

(٩٧) كنز العمال ، ج١٠، ص٢١٦، ح٢٩١٤٢.

(٩٨) سورة النحل، آية ٤٣.

(٩٩) عالم الفكر، ملف الاتجاهات الحديثة في التربية. مصدر سابق، ص٩٤.

(١٠٠) مجلة الوحدة، ملف التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، مصدر سابق، ص١٤.

(١٠١) انظر الموسوعة العربية الميسرة، ص٥٩٩.

(١٠٢) اصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات - ورقة عمل - د. طه جابر العلواني، واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩١م، ص٨٠.

(١٠٣) الاجتهاد في الإسلام، الشيخ مرتضى مطهري، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، طهران: مؤسسة البعثة ص٣٨.

(١٠٤) المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية. السيد محمد حسين فضل الله، اعداد: سليم الحسني، بيروت: دار الملاك ١٩٩٤م، ص٩١.

(١٠٥) الوحدة، ملف التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، ص٣٤.

(١٠٦) المصدر السابق، ص٣٤.

(١٠٧) الإسلام والسياسة، نشوء الدولة في صدر الدعوة. مصدر سابق، ص١٢٠.

(١٠٨) عالم الفكر، ملف التعليم العالي في الوطن العربي، ص١٩.

(١٠٩) المصدر نفسه.

(١١٠) اصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، مصدر سابق، ص٧٩.

(١١١) الإسلام يقود الحياة، السيد محمد باقر الصدر، طهران- وزارة الارشاد الإسلامي، ١٤٠٣هـ، ص٣١ - ٣٤.

ثبت المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) ابن الأثير، علي بن ابي المكارم الشيباني، الكامل في التاريخ، بيروت – دار صادر ١٩٧٩م.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار احياء التراث العربي ١٩٨٨م.

(٤) اتحاد الجامعات العربية. الأمانة العامة، الدليل العام للجامعات العربية، عمان– الأردن ١٩٨٨م.

(٥) الآلوسي، السيد محمود البغدادي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

(٦) الأمين، السيد محسن. أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، بيروت: دار التعارف، ١٩٨٦م.

(٧) البعلبكي، منير. المنجد في اللغة والاعلام، بيروت: دار المشرق، ١٩٧٣م.

(٨) بن زكريا، أحمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام بن هارون، قم: مكتب الاعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

(٩) حجتي، محمد باقر. مختصر تاريخ القرآن الكريم، ترجمة وتلخيص: د. محمد علي آذرشب، دمشق: المستشارية الثقافية الايرانية.

(١٠) الحسني، السيد محمد. الاجتهاد والحياة، بيروت: الغدير للطباعة، ١٩٩٦م.

(١١) الدجاني، د. أحمد صدقي. وحدة التنوع وحضارة عربية إسلامية في عالم مترابط، القاهرة: دار المستقبل العربي ١٩٩٠م.

(١٢) الرازي، ابوبكر أحمد بن علي. أحكام القرآن.

(١٣) رزوق، أسعد. موسوعة علم النفس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٩م.

(١٤) زيادة، معن. الموسوعة العربية الفلسفية، بيروت: معهد الانماء العربي، ط١/١٩٨٦م.

(١٥) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن ابن ابي بكر. الاتقان في علوم القرآن، بيروت: دار الهلال.

(١٦) الشرباصي، أحمد. موسوعة له الاسماء الحسنى، بيروت: دار الجيل، ١٩٨١م.

(١٧) شلبي، أحمد. مقارنة الأديان- اليهودية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨م.

(١٨) الري شهري، محمدي. ميزان الحكمة بيروت: الدار الإسلامية، ١٩٨٥م.

(١٩) الشيرازي، ناصر مكارم. الأمثل في تفسير الكتاب المنزل، بيروت: مؤسسة البعثة، ١٩٩٢م.

(٢٠) الصالح، صبحي. مباحث في علوم القرآن، بيروت: دار العلم للملايين.

(٢٤) الصدر، السيد محمد باقر. الإسلام يقود الحياة، طهران: وزارة الارشاد الإسلامي ١٤٠٣هـ .

(٢٥) صليبا، د. جميل. علم النفس، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م.

(٢٦) طاغور، رابندراناته تيكور. ديوان جينا نجالي.

(٢٧) الطباطبائي، السيد محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٧٣م.

(٢٨) الطبرسي، الشيخ الفضل بن الحسن. مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت: دار مكتبة الحياة.

(٢٩) الطبري، الامام محمد بن جرير تاريخ الأمم والملوك، بيروت - مؤسسة الأعلمي.

(٣٠) العلواني، د. طه جابر. اصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات- ورقة عمل- واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٩٩١م.

(٣١) عيسوي، د. عبدالرحمن. الإسلام والتنمية البشرية، بيروت- دار النهضة العربية، ١٩٩٨م،

(٣٢) غربال، محمد شفيق. الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٥م.

(٣٣) فضل الله، السيد محمد حسين، المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية، اعداد: سليم الحسني، بيروت: دار الملاك، ١٩٩٤م.

(٣٤) الفضلي، د. عبدالهادي. تاريخ التشريع الاسلامي، قم: دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٣م.

(٣٥) قدور، د. أحمد محمد. مبادئ اللسانيات، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٦م،

(٣٦) القرضاوي، د. يوسف. مدخل لدراسة الشريعة الاسلامية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.

(٣٧) كروسوف، باتريشيا. الخدمة العامة في التعليم العالي.

(٣٨) لوبون، جوستاف، روح الاجتماع، تعريب: احمد فتحي زغلول، بيروت.

(٣٩) مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، القاهرة.

(٤٠) المعجم الوسيط الادارة العامة للمعجمات واحياء التراث، استنابول: دار الدعوة ١٩٨٩م.

(٤١) مطهري، الشيخ مرتضي، الاجتهاد في الاسلام، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، طهران: مؤسسة البعثة.

(٤٢) نويهض، وليد. الاسلام والسياسة، نشوء الدولة في صدر الدعوة، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٤م.

(٤٣) الهندي، حسام الدين. كنز العمال. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

أولاً : سلسلة إسلامية المعرفة :

- إسلامية المعرفة : المبادئ وخطة العمل ، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م)
- الوجيز في إسلامية المعرفة ، المبادئ العامة وخطة العمل مع أوراق عمل بعض مؤتمرات الفكر الإسلامي (١٤٠٧هـ،١٩٨٧م) أعيد طبعه في المغرب والأردن والجزائر .
- نحو نظام نقدي عادل ، للدكتور محمد عمر شابرا ، ترجمة عن الإنجليزية سيد محمد سكر ، وراجعه الدكتور رفيق المصري ، الكتاب الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لعام (١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م) الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة)، (١٤١٢هـ،١٩٩٢م) .
- نحو علم الإنسان الإسلامي ، للدكتور أكبر صلاح الدين أحمد ، ترجمة عن الإنجليزية الدكتور عبد الغني خلف الله، (١٤١٠هـ،١٩٩٠م) .
- منظمة المؤتمر الإسلامي ، للدكتور عبد الله الأحسن ، ترجمة عن الإنجليزية الدكتور عبد العزيز الفائز ، الرياض ، (١٤١٠هـ،١٩٩١م) .
- تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل ، للشيخ محمد الغزالي ، الطبعة الثانية ، (منقحة ومزيدة) (١٤١٢هـ،١٩٩١م) .
- مدخل إلى إسلامية المعرفة : مع مخطط لإسلامية علم التاريخ ، للدكتور عماد الدين خليل ، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة) (١٤١٤هـ،١٩٩٤م).
- إصلاح الفكر الإسلامي ، للدكتور طه جابر العلواني ، الطبعة الثالثة ، (١٤١٣هـ،١٩٩٢م) .
- إسهام الفكر الإسلامي في الاقتصاد المعاصر ، أبحاث الندوة المشتركة بين مركز صالح عبد الله كامل للأبحاث والدراسات ، بجامعة الأزهر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، (١٤١٢هـ،١٩٩٢م) .
- ابن تيمية وإسلامية المعرفة ، للدكتور طه جابر العلواني ، الطبعة الثانية ، (١٤١٥هـ،١٩٩٥م) .
- الإسلام والتحدي الاقتصادي ، للدكتور محمد عمر شابرا (١٤١٦هـ،١٩٩٥م) .
- أبحاث ندوة نحو فلسفة إسلامية معاصرة ، ط ١ ، (١٤١٤هـ،١٩٩٤م) .
- حكمة الإسلام في تحريم الخمر ، مالك البدري ط١ ، (١٤١٦هـ،١٩٩٦م) .
- المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية ، عفاف إبراهيم الدباغ .
- بحوث المؤتمر التربوي نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة ، فتحي حسن الملكاوي .
- مقدمات الاستتباع ، غريغوار منصور مرشو ، ط١ ، (١٤١٦هـ،١٩٩٦م) .
- أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد ، ماجد عرسان الكيلاني (١٤١٧هـ،١٩٩٧م) .
- إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم ، د. طه جابر العلواني ، ط١ ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الوجود ، د. طه جابر العلواني ، ط١ ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، مؤتمر .

ثانياً : سلسلة إسلامية الثقافة :

- دليل مكتبة الأسرة المسلمة ، خطة وإشراف الدكتور عبد الحميد أبو سليمان ، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) (١٤١٢هـ،١٩٩٢م) .

- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، للدكتور يوسف القرضاوي (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر)، (١٤٠٨هـ،١٩٨٨م) .

ثالثاً : سلسلة قضايا الفكر الإسلامي :

- حجية السنة ، للشيخ عبد الغني عبد الخالق ، الطبعة الثالثة ، (١٤١٥هـ،١٩٩٥م) .
- أدب الاختلاف في الإسلام ، للدكتور طه جابر العلواني ، الطبعة الخامسة (منقحة ومزيدة) (١٤١٣هـ،١٩٩٢م).
- الإسلام والتنمية الاجتماعية ، للدكتور محسن عبد الحميد ، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ،١٩٩٢م) .
- كيف نتعامل مع السنة النبوية : معالم وضوابط ، للدكتور يوسف القرضاوي ، الطبعة الخامسة ، (١٤١٣هـ،١٩٩٢م) .
- كيف نتعامل مع القرآن ، مدارسة مع الشيخ محمد الغزالي أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة ، الطبعة الثالثة (١٤١٣هـ،١٩٩٣م) .
- مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ، للأستاذ عمر عبيد حسنة ، الطبعة الثانية ، (١٤١٣هـ،١٩٩٢م) .
- حول تشكيل العقل المسلم ، للدكتور عماد الدين خليل ، الطبعة الخامسة (١٤١٣هـ،١٩٩٢م) .
- مشكلتان وقراءة فيهما ، للأستاذ طارق البشري والدكتور طه جابر العلواني ، الطبعة الثالثة ، (١٤١٣هـ،١٩٩٣م).
- حقوق المواطنة : حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي ، للأستاذ راشد الغنوشي ، الطبعة الثالثة ، منقحة (١٤١٣هـ،١٩٩٣م) .
- كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي الطبعة الأولى (١٤١٢هـ،١٩٩٢م) ، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ،١٩٩٢م) .
- تجديد الفكر الإسلامي ، محسن عبد الحميد (١٤١٦هـ، ١٩٩٦م) .
- العقيدة والسياسة ، معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية ، لؤي صافي ، طبعة أولى (١٤١٦هـ،١٩٩٦م) .
- الأمة القطب ، منى أبو الفضل ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- الخدمة الاجتماعية في الإسلام ، مؤتمر .
- قراءات في الفنون الإسلامية ، أسامة القفاش .
- قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي المعاصر ، مستخلصات أفكار وندوات المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة .

رابعاً : سلسلة المنهجية الإسلامية :

- أزمة العقل المسلم ، للدكتور عبدالحميد أبو سليمان ، الطبعة الثالثة (١٤١٣هـ،١٩٩٣م) .
- المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية : أعمال المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي .

الجزء الأول : المعرفة والمنهجية (١٤١١هـ،١٩٩٢م) .

- الجزء الثاني : منهجية العلوم الإسلامية ، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) .
- الجزء الثالث : منهجية العلوم التربوية والنفسية (١٤١٣هـ،١٩٩٢م) .
- مجلد الأعمال الكاملة (١٤١٥هـ،١٩٩٥م) .
- معالم المنهج الإسلامي ، للدكتور محمد عمارة ، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ،١٩٩١م) .
- في المنهج الإسلامي ، البحث الأصلي مع المناقشات والتعقيبات ، الدكتور محمد عمارة ، (١٤١١هـ،١٩٩١م) .
- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل ، للدكتور عبد المجيد النجار ، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ،١٩٩٣م) .

- المسلمون وكتابة التاريخ : دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ ، للدكتور عبدالعليم عبد الرحمن خضر ، الطبعة الثانية (١٤١٥هـ،١٩٩٤م) .
- في مصادر التراث السياسي الإسلامي : دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل ، للأستاذ نصر محمد عارف (١٤١٤هـ،١٩٩٣م) .
- أعمال مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات (١٤١٥هـ،١٩٩٥م) .
- بحوث ندوة السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة ، تقارير وبحوث .
- ظاهرية ابن حزم الأندلسي ، أنور خالد الزعبي .
- قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية ، تحرير نصر عارف ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- نحو منهاجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي بين المقدمات والمعوقات ، منى عبد المنعم أبو الفضل ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- النص القرآني من الجملة إلى العالم ، وليد منير ، الطبعة الأولى ، (١٤١٨هـ،١٩٩٧م) .
- نحو منهج لتنظيم المصطلح الشرعي ، هاني عطيه ، الطبعة الأولى ، (١٤١٨هـ،١٩٩٧م) .

خامساً : سلسلة أبحاث علمية :

- أصول الفقه الإسلامي : منهج بحث ومعرفة ، للدكتور طه جابر العلواني ، الطبعة الثانية (منقحة) (١٤١٥هـ،١٩٩٥م) .
- التفكر من المشاهدة إلى الشهود : دراسة نفسية إسلامية ، للدكتور مالك بدري ، الطبعة الثالثة ، (منقحة) (١٤١٣هـ،١٩٩٣م) .
- العلم والإيمان : مدخل إلى نظرية المعرفة في الإسلام ، للدكتور إبراهيم أحمد عمر ، الطبعة الثانية (منقحة) (١٤١٣هـ،١٩٩٢م) .
- فلسفة التنمية : رؤية إسلامية ، للدكتور إبراهيم أحمد عمر ، الطبعة الثانية (منقحة) (١٤١٣هـ،١٩٩٢م) .
- روح الحضارة الإسلامية ، للشيخ محمد الفاضل بن عاشور ، ضبطها وقدم لها عمر عبيد حسنة ، الطبعة الثانية، (١٤١٤هـ،١٩٩٣م) .
- دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين ، للدكتور عبد المجيد النجار ، (١٤١٣هـ،١٩٩٢م) .
- حاكمية القرآن ، الدكتور طه جابر العلواني ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية ، للدكتور علي جمعة محمد ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- وعلم آدم الأسماء كلها ، الدكتور محمود الدمرداش ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- التعددية ، أصول ومراجعات بين الإستتباع والإبداع ، الدكتور طه جابر العلواني ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- الأزمة الفكرية ومناهج التغيير ، للدكتور طه جابر العلواني ، الطبعة الثانية ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- المنطق والموازين القرآنية ، محمد مهران ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .

سادساً : سلسلة المحاضرات :

- الأزمة الفكرية المعاصرة : تشخيص ومقترحات علاج ، للدكتور طه جابر العلواني ، الطبعة الثانية ، (١٤١٣هـ،١٩٩٢م) .

- أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة ، الدكتور طه جابر العلواني ، الطبعة الثانية ، (١٤١٧هـ،١٩٩٧م) .
- دور الجامعات والتعليم العالي في المجتمعات العربية، أسباب الفشل ومقومات النجاح ، للدكتور طه جابر العلواني .

سابعاً : سلسلة رسائل إسلامية المعرفة :

- خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية ، للدكتور طه جابر العلواني (١٤٠٩هـ،١٩٨٩م).
- نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث ، للأستاذ محمد المبارك (١٤٠٩هـ،١٩٨٩م) .
- الأسس الإسلامية للعلم ، للدكتور محمد معين صديقي ، (١٤٠٩هـ،١٩٨٩م) .
- قضية المنهجية في الفكر الإسلامي ، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان ، (١٤٠٩هـ،١٩٨٩م) .
- صياغة العلوم الإجتماعية صياغة إسلامية ، للدكتور إسماعيل الفاروقي ، (١٤٠٩هـ،١٩٨٩م) .
- أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية ، للدكتور زغلول راغب النجار ، (١٤١٠هـ،١٩٩٠م) .

ثامناً : سلسلة الرسائل الجامعية :

- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ، للأستاذ أحمد الريسوني (١٤١٢هـ،١٩٩٠م) الطبعة الثالثة ، (١٤١٣هـ،١٩٩٢م) .
- الخطاب العربي المعاصر ، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة ، للأستاذ فادي إسماعيل ، الطبعة الثالثة، (١٤١٣هـ،١٩٩٢م) .
- منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية ، للأستاذ محمد محمد إمزيان (١٤١٢هـ،١٩٩١م) .
- المقاصد العامة للشريعة ، للدكتور يوسف العالم ، الطبعة الثانية ، (١٤١٥هـ،١٩٩٤م) .
- نظريات التنمية السياسية المعاصرة : دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي ، للأستاذ نصر محمد عارف ، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ،١٩٩٣م) .
- القرآن والنظر العقلي ، للدكتورة فاطمة إسماعيل ، الطبعة الثالثة (١٤١٥هـ،١٩٩٥م) .
- مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي ، للدكتور عبد الرحمن بن زيد الزنيدي ، (١٤١٢هـ،١٩٩٢م) .
- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ، للدكتور راجح الكردي (١٤١٢هـ،١٩٩٢م) .
- الزكاة : الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي ، للدكتورة نعمت عبد اللطيف مشهور ، (١٤١٣هـ،١٩٩٣م).
- فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي : دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر ، للدكتور سليمان الخطيب ، (١٤١٣هـ،١٩٩٣م) .
- الأمثال في القرآن الكريم ، للدكتور محمد جابر الفياض ، الطبعة الثالثة (١٤١٥هـ،١٩٩٤م) .
- الأمثال في الحديث الشريف ، للدكتور محمد جابر الفياض (١٤١٤هـ،١٩٩٤م) .
- تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية ، للأستاذ إبراهيم العقيلي ، (١٤١٥هـ،١٩٩٤م) .
- نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور ، للأستاذ إسماعيل الحسني (١٤١٦هـ،١٩٩٥م) .
- الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية : رؤية معرفية ، للأستاذ هشام جعفر (١٤١٦هـ،١٩٩٥م) .
- فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي .. (في جزأين) للدكتور أحمد محمد جاد عبد الرزاق (١٤١٦هـ،١٩٩٥م) .
- المرأة والعمل السياسي : رؤية إسلامية ، للأستاذة هبة رؤوف عزت (١٤١٦هـ،١٩٩٥م) .
- منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها في الفترة المكية ، الطيب برغوث ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ،١٩٩٦م) .

- أصول الفكر السياسي في القرآن المكي ، الدكتور التيجاني عبد القادر محمد ، الطبعة الأولى ، (١٤١٦هـ،١٩٩٥م).

- نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار ، الدكتور أحمد العماري ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٧م).

- الاستشراق في السيرة النبوية ، للدكتور عبد الله محمد الأمين النعيم ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ،١٩٩٧م) .

- فقه الأولويات ، للدكتور محمد الوكيلي ، الطبعة الأولى ، (١٤١٦هـ،١٩٩٧م) .

- التقسيم الإسلامي للمعمورة ، للدكتور محي الدين محمد قاسم ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .

- الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام ، للدكتور مصطفى محمود منجود ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).

- الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام ، للدكتور السيد عمر ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .

- سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها ، للدكتور محمد هيشور ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .

- أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية ، منتصر مجاهد ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .

- منهج البحث عند الكندي ، للدكتورة فاطمة إسماعيل .

- النظرية السياسية من منظور إسلامي ، للدكتور سيف الدين عبد الفتاح .

- السياسة الشرعية ومفهوم السياسة الحديث ، للدكتور محيي الدين محمد قاسم ، الطبعة الأولى ، (١٤١٨هـ،١٩٩٧م) .

- دور أهل الحل والعقد في النموذج الإسلامي لنظام الحكم ، للدكتور فوزي خليل ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .

تاسعاً : سلسلة المعاجم والأدلة والكشافات :

- الكشاف الاقتصادي لآيات القرآن الكريم ، للأستاذ محيي الدين عطية ، الطبعة الثانية ، (١٤١٥هـ،١٩٩٤م) .

- الكشاف الموضوعي لأحاديث صحيح البخاري ، للأستاذ محيي الدين عطية ، الطبعة الثانية ، (١٤١٥هـ،١٩٩٤م).

- الفكر التربوي الإسلامي ، للأستاذ محيي الدين عطية ، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة) (١٤١٥هـ،١٩٩٤م) .

- قائمة مختارة : حول المعرفة والفكر والمنهج والثقافة والحضارة ، للأستاذ محيي الدين عطية ، (١٤١٣هـ،١٩٩٢م).

- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء ، للدكتور نزيه حماد ، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة) (١٤١٥هـ،١٩٩٥م) .

- دليل الباحثين إلى التربية الإسلامية في الأردن ، للدكتور عبد الرحمن صالح عبد الله ، (١٤١٤هـ،١٩٩٣م) .

- دليل مستخلصات الرسائل الجامعية في التربية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية ، للدكتور عبد الرحمن النقيب، (١٤١٤هـ،١٩٩٣م) .

- الدليل التصنيفي لموسوعة الحديث النبوي الشريف ورجاله ، إشراف الدكتور همام عبدالرحمن سعيد ، (١٤١٤هـ،١٩٩٤م) .

- دليل مؤتمرات وندوات المعهد العالي للفكر الإسلامي .

عاشراً : سلسلة تيسير التراث :

- كتاب العلم للإمام النسائي ، دراسة وتحقيق الدكتور فاروق حمادة ، الطبعة الثانية ، (١٤١٥هـ،١٩٩٤م) .

- علم النفس في التراث الإسلامي (ثلاثة أجزاء) ، للدكتور محمد عثمان نجاتي ، والدكتور عبد الحليم محمود السيد، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .

- المدخل ، للدكتور علي جمعة محمد ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .

حادي عشر : سلسلة حركات الإصلاح ومناهج التغيير :

- هكذا ظهر جيل صلاح الدين .. وهكذا عادت القدس ، للدكتور ماجد عرسان الكيلاني ، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) ، (١٤١٥هـ،١٩٩٤م) .

- تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت : الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري ، للدكتور عبد المجيد النجار ، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) ، (١٤١٥هـ،١٩٩٥م) .

ثاني عشر : سلسلة المفاهيم والمصطلحات :

- الحضارة ، الثقافة ، المدنية " دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم "، للدكتور نصر محمد عارف ، الطبعة الثانية ، (١٤١٥هـ،١٩٩٤م) .

- المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم ، للدكتور علي جمعة محمد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .

- مفاهيم الجمال ، للدكتور أسامة القفاش ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .

- بناء المفاهيم ، رؤية معرفية ونماذج تطبيقية ، فريق من الباحثين (جزئين) .

ثالث عشر : سلسلة التنمية البشرية :

- دليل التدريب القيادي ، للدكتور هشام الطالب ، (١٤١٥هـ،١٩٩٥م) .

رابع عشر : سلسلة دراسات في الاقتصاد الإسلامي :

- القيادة الادارية في الإسلام ، للدكتور عبد الشافي محمد أبو العينين أبو الفضل ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).

- أسواق الأوراق المالية ، للدكتور سمير عبد الحميد رضوان ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).

- مفاهيم أساسية في البنوك الإسلامية ، للدكتور عبد الحميد محمود البعلي ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).

- النظام القانوني للبنوك الإسلامية ، للدكتور عاشور عبد الجواد عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).

- رسالة البنك الإسلامي ومعايير تقويمها ، للدكتور عبد الشافي محمد أبو الفضل ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).

- تقييم وظيفة التوجيه في البنوك الإسلامية ، للدكتور عبد الحميد عبد الفتاح المغربي ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).

- المضاربة وتطبيقاتها العملية في المصارف الإسلامية ، للدكتور محمد عبد المنعم أبو زيد ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).

- بيع المرابحة في المصارف الإسلامية ، للدكتور فياض عبد المنعم حسنين ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).

- الإجارة بين الفقه الإسلامي والتطبيق المعاصر ، للدكتور محمد عبد العزيز حسن زيد ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).

- التطبيق المعاصر لعقد السلم ، للدكتور محمد عبد العزيز حسن زيد ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- الوظائف الاقتصادية للعقود المطبقة في المصارف الإسلامية ، للدكتور صبري حسنين ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- الضمان في الفقه الإسلامي وتطبيقاته في المصارف الإسلامية ، للدكتور محمد عبد المنعم أبو زيد ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- خطاب الضمان في البنوك الإسلامية ، للدكتور حمدي عبد العظيم ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- الاعتمادات المستندية ، للدكتور محي الدين إسماعيل علم الدين ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- القرض كأداة للتمويل في الشريعة الإسلامية ، للدكتور محمد الشحات الجندي ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية ، للدكتور حسن يوسف داود ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- الرقابة المصرفية على المصارف الإسلامية ، للدكتور الغريب ناصر ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- المنظومة المعرفية لآيات الربا في القرآن الكريم ، للدكتور رفعت السيد العوضي ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- الدور الاقتصادي للمصارف الإسلامية بين النظرية والتطبيق ، للدكتور محمد عبد المنعم أبو زيد ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- دراسات الجدوى الاقتصادية في البنك الإسلامي ، للدكتور حمدي عبد العظيم ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- التعامل في أسواق العملات الدولية ، للدكتور حمدي عبد العظيم ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- دور القيم في نجاح البنوك الإسلامية ، للدكتور محمد جلال سليمان صديق ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- الاستثمار قصير الأجل في المصارف الإسلامية ، للدكتور حسن يوسف داود ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- النشاط الاجتماعي والتكافلي للبنوك الإسلامية ، للدكتورة نعمت مشهور ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- تقويم العملية الادارية في المصارف الإسلامية ، للدكتورة نادية حمدي صالح ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- المسئولية الاجتماعية للبنوك الإسلامية ، للدكتور عبد الحميد عبد الفتاح المغربي ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- الودائع الاستثمارية في البنوك الإسلامية ، للدكتور محمد جلال سليمان ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- قياس وتوزيع الربح في البنك الإسلامي ، للدكتورة كوثر عبد الفتاح محمود الأبجي ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- المنهج المحاسبي لعمليات المرابحة في المصارف الإسلامية ، للدكتور أحمد محمد محمد الحلبي ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- أسس إعداد الموازنة التخطيطية ، للدكتور محمد البلتاجي ، الطبعة الأولى ،(١٤١٧هـ،١٩٩٦م).

- معايير ومقاييس العملية التخطيطية في المصارف الإسلامية ، للدكتور محمد محمد علي سويلم ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- مدى فاعلية نظام تقويم أداء العاملين بالبنوك الإسلامية ، للدكتور حسين موسى رغب ، الطبعة الأولى ،(١٤١٧هـ،١٩٩٦م).
- الغرامة المالية ، عصام أنس الزفتاوي ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٧م) .

خامس عشر : موسوعة تقويم أداء البنوك الإسلامية :

- عرض وصفي ومنهجي لمراحل وخطوات تقويم أداء المصارف الإسلامية ، إعداد لجنة من الأستاذة الخبراء الإقتصاديين والشرعيين والمصرفيين ، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- تقويم عمل هيئات الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية ، إعداد لجنة من الأستاذة الخبراء الاقتصاديين والشرعيين والمصرفيين ، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- تقويم الدور الاجتماعي للمصارف الإسلامية ، إعداد لجنة من الأستاذة الخبراء الاقتصاديين والشرعيين والمصرفيين، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- تقويم الدور الاقتصادي للمصارف الإسلامية ، إعداد لجنة من الأستاذة الخبراء الاقتصاديين والشرعيين والمصرفيين، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- تقويم الجوانب الإدارية للمصارف الإسلامية ، إعداد لجنة من الأستاذة الخبراء الاقتصاديين والشرعيين والمصرفيين ، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- تقويم الدور المحاسبي للمصارف الإسلامية ، إعداد لجنة من الأستاذة الخبراء الاقتصاديين والشرعيين والمصرفيين ، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م).

سادس عشر : مشروع العلاقات الدولية في الإسلام :

- المقدمة العامة لمشروع العلاقات الدولية في الإسلام ، للدكاترة نادية محمود مصطفى ، ودوده عبد الرحمن بدران ، أحمد عبد الونيس شتا ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- مدخل القيم إطار مرجعي لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام ، للدكتور سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- المداخل المنهاجية للبحث في العلاقات الدولية في الإسلام ، للدكاترة سيف الدين عبد الفتاح ، عبد العزيز صقر ، أحمد عبد الونيس شتا ، مصطفى منجود ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- الدولة الإسلامية ، وحدة العلاقات الخارجية في الإسلام ، للدكتور مصطفى محمود منجود ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- الأصول العامة للعلاقات الدولية في الإسلام وقت الحرب ، للدكتور عبد العزيز صقر ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- الأصول العامة للعلاقات الدولية في الإسلام وقت السلم ، للدكتور أحمد عبد الونيس شتا ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- مدخل منهاجي لدراسة التطور في وضع ودور العالم الإسلامي في النظام الدولي ، للدكتورة نادية محمود مصطفى، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- الدولة الأموية دولة الفتوحات ، للدكتورة علا عبد العزيز أبوزيد ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- الدولة العباسية ، للدكتورة علا عبد العزيز أبو زيد ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- العصر المملوكي ، للدكتورة نادية محمود مصطفى ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية ، للدكتورة نادية محمود مصطفى ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .
- وضع الدول الإسلامية في النظام الدولي في أعقاب سقوط الخلافة ، للدكتورة ودودة عبد الرحمن بدران ، الطبعة الأولى ، (١٤١٧هـ،١٩٩٦م) .

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة أنشئت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) لتعمل على:

- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.
- استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي.
- إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانيَّة وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.

ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها:

- عقد المؤتمرات والندوات العلميَّة والفكريَّة المتخصّصة.
- دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ونشر الإنتاج العلمي المتميز.
- توجيه الدراسات العلميَّة والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة.

وللمعهد عدد من المكاتب والفروع في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية والإسلامية والغربيّة وغيرها في مختلف انحاء العالم.

The International Institute of Islamic Thought
555 Grove Street (P.O. Box 669)
Herndon, VA 22070-4705 U.S.A
Tel: (703) 471-1133
Fax: (703) 471-3922
Telex: 901153 IIIT WASH

هذا الكتاب

* يعد التشوه المفاهيمي والمعرفي أحد الملامح الأساسية للانهيار الذى أصاب الأمة الإسلامية ، أو عرضاً كئيباً من أعراض المرض الثقافي والفكري الإسلامي ، فقد أصيبت الأمة بحالة خلل هيكلي فى رؤيتها للمفاهيم التى تشكل نسقها المعرفى ، لعل ملامحه غياب أو تشويه المدلولات الحقيقية ؛ بل والحضارية لبعض المفاهيم ، ومن المفاهيم التى لحقها التشويه أو النسيان الجامع ، الجماعة ، الجامعة.

* والكتاب الذى بين أيدينا ، هو محاولة لاستجلاء ملامح التكامل المعرفى بين المفاهيم الثلاثة ، وما تختزله من مكونات مفاهيمية .

* فرضية هذا الكتاب ، أن ثمة رابطاً لغوياً ومفاهيمياً بين الألفاظ الثلاثة ، ويزعم الكتاب أن هناك ما يجمع بينهم من حيث التكامل المعرفى ، وأن كلاً منهم يأخذ من الآخر أخذاً معنوياً ومفهومياً من خلال مداخل ومسالك يستجليها المؤلف عبر صفحات هذا الكتاب .

